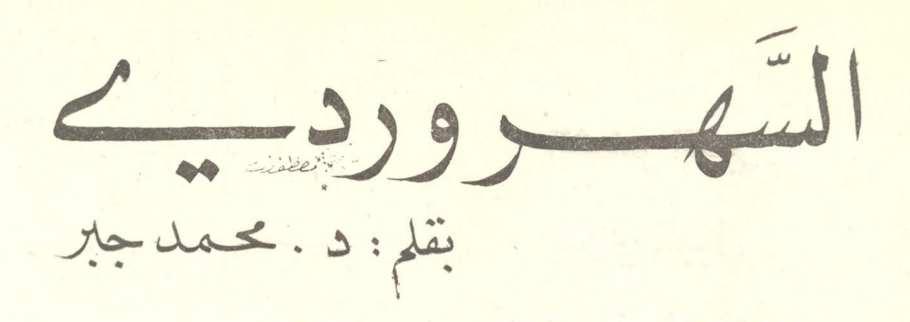


السهروردي معلم الحكمة الاشراقية
بين الذاتية المقفلة . والكلية المطلقة
● الشاعر والفيلسوف والعالم ●

كان السهروردي أوحد اهل زمانه في العلوم الحكمية ، جامعا للعلوم الفلسفية ، بارعا في الاصول الفقهية ، مفرط الذكاء ، فصيح العبارة ، وكان علمه اكثر من عقله.
« ابن أبي أصيبعة »

لو لم يكن السهروردي فيلسوفا مميزا ، وشاعرا مطبوعا مهما في تراث الانسانية ، لما وقفنا هذه الوقفة المتأنية عند شعره وفلسفته ، ولو لم يكن صوفيا جعلت رؤاه فجأة تنسرح شعرا وحكمة ، لما وقفنا ايضا هذه الوقفة الطويلة عند رؤاه . ولست اول الدراسين للسهروردي الشاعر والحكيم العربي الكبير رغم انني وبكل تواضع أرى نفسي معتديا على اختصاص دارسي الصوفية المختصين ، لكنني رأيت شيئا ملحا في وجداني التناول هذا الفيلسوف الكبير ، ولاتطمع دراستي في أن تكون مجارية للمتخصصين . لكن السهروردي أتانا بالشعر والتصوف معا ، وانه قد اغرانا بالاستماع والانصات لحكمته وشعره معا مما شدنا اليه ، وتركنا ننشده في عالمه الساحر العجيب ، والتأمل . وهو يوحي الينا فيما يقول قضاياهم الانسانية ، وبأن فيما يقول تطلعا في غاية الثقافية ووضوح الرؤى ، لابدلنا ان نتقراه بامعان شديد . وأهم من ذلك ، فان السهروردي الحكيم كان عطاؤه ذخرا للشعر العربي : الشعر كتجربة ، وحس ، ورؤى ، وسحر ، واثارة ، واقلاق ، وبهجة وانفعال ، وارتعاش بلحظة علوية صافية ، وشطحة مادية جذلة ، وشعره غني بذلك كله . بل انه يكاد يقنعنا بأن علينا نحن ايضا ان نشارك في النشوة الصوفية والحلم الخارق ، والاسراء في سماءالحقيقة الأزلية واذا تعثرنا في نشوتنا ، اواذا قصرنا عن التحليق في أبعاد تتعدى امكانيتنا ومدانا على ماالفنا ، فيكون الذنب ذنبنا نحن ، اذ ليس على الشاعر والفيلسوف الا ان يزحزح ، ويحرك ويدفع عقلنا وفكرنا وذاتنا ، الى التفاعل بما نحسن ونرى ونلمس وعلينا نحن ماتبقى .. من استشفاف وتذوق والمام. ونحن قد نشارك فعلا في مسار حركة الفكر الانساني أو قد نشاهد نحن واقفين على جانب . فاذا عجزنا عن المشاركة ، مهما كان السبب ، فاننا سنتملى بالمشاهدة . وعندما نشعر ان السهروردي لاينصفنا دائما ، ولاينصف نفسه . فهو احيانا يحلق كالصقر فوق القمة الشماء ، حيث يصعب اللحاق به ، ولكنه يرى وهو يعلو ويسف بتشائمه ، ويدور ويجول ويحلق

من جديد . وفي رؤيته متعة كالمتعة المتأتية عن مشاهدة ربان طائرة نفاثة تحلق فوق السحاب وتجتاز المسافات بسرعة اكثر من سرعة الصوت ، نخشى عليه السقوط وهو يقوم بحركات في الفضاء الارحب حيث تقبض قلبك بيدك خشية علية ، وأنت تعلم انه أبرع من ان يسقط . وهو يبدو وكأنه يتحدى قوانين الحركة الانسانية ، فتغبط ، وتسعد لانه يحقق ما يستحيل عليك أنت تحقيقه .

غير ان السهروردي احيانا وعلى نحو متزايد ، يندس في متاهات ودروب وعرة شائكة ، ويغيب عنا في كثافات تمنع عنا رؤيته ، ولايدلنا على استمرار وجوده فيها الاصوت حركته ـ صوت غضبة الرياح العاتية التي ركب زورقه في مهبها ، وتفح من حوله ، وصرخة منه تبدر بين آونة وأخرى ، تذكرنا بأنه مازال يتلفلف حيث لانؤمل له أولنا أي كشف أوتحقيق . ونخشى عليه حينئذ غضب الطرق العاصفة . وعاصفة الخوف الأكبر في الشعر هوالتكثيف اللفظي ،والغموض والايغال في التلويح والعمق اللاواضح ، الذي لايقنعنا بأن هذه الاشكالات الشعرية والفكرية معا ،رمزية ،او حسية . انها تكثيفات أشبه بدرع حديد يلبسها الفارس للقتال والطعان ، فيتعذر عليه المرح والرقص والغناء ، في اللحظة التي يريد فيها ان يرقص ويغني واذا كانت الألفاظ بدلا من ان تصبح ريشا في جناح الشاعر ، تتحول الى خيوط شرك يوقع به . هذا التناقض واحد من تناقضات عدة نلمسها في فلسفة السهروردي وشعره . وهي تناقضات حرية بالتقصي لانها جزء من عملية خلق فذة . بل انها أمر لايمكن ان يتصف به الاالخيال الجائش المحترم الذي يحاول الشاعر بوعيه وعدته ان يستنبطه ويستخرج اسراره فتقع التناقضات . ولعلها تقع عندما تعف صدامة الوعي والكبح ، لسبب أو لاخر . والحدس ، وهو هنا نشيط فاعل ملحاح ، قد لايفيد فيه أحيانا اعمال الوعي . واذا كنا في معرض التصوف . فقد يؤثر الشاعر ان يسقطه من حسابه . ونحن في معظم اشعاره وفلسفته انما نطل على مواقف صوفية متلاحقة تتخطى الوعي تخطيا بعيدا .

ان العدد الأكبر من القصائد يمتاز بنغمه الأسى واللوعة ، والنزق الثوري على الحياة الواقعية تحت مطارق الظروف البائسة الخ .. وهذه النظرة خط ينسحب على معظم افكاره واشعاره وفلسفته ، وكأنه يبحث عن المطلق في التسامي عبر مسحة من الكآبة في الحزن العميق ، والاسى البعيد الغور في اعماق الانسانية ، فان هذه الرؤية الصفة الطاغية ، الا في القليل النادر من قصائده وفلسفته . كما ان في كل رؤيا حلم ، والحلم والرؤيا يتصلان بالاشكال المرئية وكذلك الاصوات المسموعة فهي هنا كثيرة وزاخرة اتصالا غير منطقي . قد يفرض الشاعر احيانا عليها معاني صريحة ، ولكنه نادرا مايرهق نفسه بجعلها متماسكة ، تاركا لنا البحث في خوافي هذه المرئيات فهي اذن تنتصب امامنا ، وتتحرك ، وتتفاعل تفاعل الرموز . واذا عجزنا عن تحديد معنى كل رمز على حدة ، عجزنا عن اكتناه المعاني المتحركة المتفاعلة . بديهي ان من طبيعة الرؤيا ان تكون غامضة ، ولغزا الى حد بعيد وان أغلب المتصوفين من فلاسفة كأبن عربي ، والحلاج ، والغزالي ، والبصري ، وابن سينا ، وابن الطفيل ، وابن رشد ، كانوا موغلين في الاشارات ، والتلويحات ، والرمز ، واحيانا في الغموض . ولكن من البديهي ايضا ان الرؤى اذا استمرت على انغلاقها علينا ، مهما حاولنا التغلغل في مطاويها وتلافيفها ، يتضاءل في النهاية مفعولها فينا : فالهزة الجمالية التي تعترينا في بعض غوامض القول البديع ، لايمكن انتلازمناالى مالا نهاية . والصلة بيننا وبين القصائد ، اذاأعتمدتالهزةالجمالية وحدها وهي هزة والحيرة المستحبة ، لابد ان تهن شيئا فشيئا ونحن نتابع القراءة ، وأمامنا الكثير مناشعار السهروردي . وأغلب الظن ان السهروردي كان يعي ذلك ، ولعله يتقصده . ولذلك يبدو وان علينا ان نعود الى اشعاره وفلسفته المشرقة في اعماله « الحكمة الآلهية » و « هياكل النور » ومتفرقات متوزعة في معجم الأدباء للياقوت الحموي ،و« النجوم الزاهرة » لابن تغري بردى و « وفيات الاعيان » لأبن خالكان ـ ونعرج على ـ دائرة المعارف الاسلامية ، للبستاني ، و « اخبار الحلاج » لـ ماسينيون ،لنرى استمرار القصيدة لديه فيمايقول . ونستنيرب« محمد بن عبد الجبار النفري » المفكر الأصيل والجريء ،وهو من متصوفة القرن العاشر الميلادي في العراق ،وقد استمرار القصيد لديه فيما يقول . وتستنير « محمد منهما عدد من المقاطع او الفقرات تلخص ، على نحو مركز شعر الصور ، تعاليمه الصوفية كان النفري يزعم الوحي والالهام من لدن الله . والوقفة عنده تعني وضع الصوفي وهو في خطاب مباشر مع

الذات العلوية ، ووضع كهذا ربما صاحبته القدرة على الكتابة التلقائية . و« الموقف » هو اقرب الناس الى الله . ومن المحتمل ان شهاب الدين السهروردي قد تأثر بمحمد بن عبد الجبار النفري لانه ولد بين ١١٥٠ - ١١٥٥ م - اي بعد قرن ونصف على حد التقريب من مولد النفري وموته .. لذلك نرى السهروردي تنطبق على فلسفته كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة وهي مقولة « للنفري » من كتابه « التحولات » فهذه العبارة تصلح كمنطلق لدراسة اشعار وفلسفة السهروردي ، لا لأن العبارة عند السهروردي ضيقة ، بمعنى الايجاز من ناحية ، وعجز الألفاظ عن الوفاء بحق الرؤية المتسعة من ناحية اخرى ، بل لأن الرؤية المتباينة اذ تتسع تعتمد عند السهروردي على عبارات ، وكلمات تضيق وتقل باستمرار . ففي الموقف السهروردي ، الذي يتسم بالجو النفري ، من حيث تعاليمه على مجرد المعرفة ، وصلته بالذات العلوية ، وامتلائه بالعبارات التلقائية نرى الكلمات تتكرر ، تتكرر فيها المعاني وهي المعاني نفسها قد نحصرها في مئة كلمة فعلا ، وتتلبس بالاقترانات والمعاني ، وغوامض الرموز ، ولكنها مع هذا التكرار والتقاطر تتكشف وتفقد ديناميتها . والذي يحدث في النهاية هو ان « ضيق العبارة » لا يتصل بالضرورة باتساع الرؤية . فالسهروردي عندما يفلح في التركيز والايجاز ، يذهل القارىء بقدرته على خلق الصورة الفسيحة ومايتصل بها من قوى روحية موحية بالسمو بالمعاني ويقول ياقوت الحموي في معجم الادباء : وله شعر كثير ، اشهره وأجوده قصيدته الحائية : « ابدا تحن اليكم الأرواح » ، ومن المؤسف ان لانعثر في اكثر كتب الأدب والحكمة والتصوف الا على هذه القصيدة ، وبعض مقطوعات تصور بعض نزعاته الصوفية نثبتها فيما يلي :

ابدا تحن اليكم الارواح
ووصالكم ريحانها والراح(١)

وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم
والى لذيذ لقائكم ترتاح

وارحمتا للعاشقين تكلفوا
ستر المحبة والهوى فضاح

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم
وكذا دماء العاشقين تباح(٢)

واذا هم كتموا تحدث عنهم
عند الوشاة المدمع السفاح(٣)

وبدت شواهد للسقام عليهم
فيها لمشكل امرهم ايضاح

خفض الجناح لكم ، وليس عليكم
للصب في خفض الجناح جناح(٤)

«الحائية» قصيدة جميلة ، فيها الانسجام والتناغم والاحجية متشبعة الايحاء ، فضلا عن انها صورمرئية شفافة ، مقلقة ، ومثلها مقاطع كثيرة أ

يا صاح : ليس على المحب ملامة
ان لاح في أفق الوصال صباح

لا ذنب للعشاق ان غلب الهوى
كتمانهم فنما الغرام فباحوا

سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها
لما دروا أن السماح رباح

ودعاهم داعي الحقائق دعوة
فغدوا بها مستأنسين وراحوا

---

١ - الوصال ضد القطعية والهجران . الراح الخمرة .

٢ - جاءت كلمة « البائحين » في بعض النسخ بدلا من عاشقين

٣- جاءت كلمة « السماح » في بعض النسخ بدلا من « السفاح »

٤ - خفض الجناح : لين الجناح . ويمكن ضبط هاتين الكلمتين على انهما فعل ومفعول به .
والجناح بضم الجيم : الاثم .

ركبوا على سنن الوفاء دموعهم
بحر وحادي شوقهم ملاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابه
حتى دعوا وأتاهم المفتاح
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم
ابدا فكل زمانهم افراح
حضروا ، فغابوا عن شهودذواتهم
وتهتكوا لما رأوه وصاحوا
افناهم عنهم وقد كشفت لهم
حجب البقاء فتلاشت الارواح

أو في هذه الابيات التي يتحدث بها عن النفس، وقد جارى ابن سينا في عينته الشهورة :

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع

ومن المؤسف حقا ان لا نظفر من قصيدة السهروردي الا على هذه الابيات :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى
وصبت لمغناها القديم تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها
ربع عفت اطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها
رجع الصدى ان لا سبيل الى اللقا
فكأنما برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه ما ابرقا

اكبر الظن اني لست في حاجة الى اسلوب التصوير الى جانب اسلوب التحليل ، ولست في احتياج الى بيان أثر شعر السهروردي في النفس ولاسيما اذا ما سجى الليل واخذ الكرى بمعاقد الاجفان . واخذ موكب الرؤى والاحلام والكشف السماوي يخب في وادي الخيال والتخيل خبا ، وانسكبت أضواء الروحانية الباهرة الزاهرة ، وانصبت اضواؤها اشعة شاعرة ساحرة على الرمال الشقراء فترق حصباؤها كأنها الدراري ، وتلمع رمالها كأنها حثالة العسجد او نثار التبر ، والسهروردي وحده هائم في العشق الآلهي تحت جنح الليل يستلهم بتأمل شفاف رائق الملكوت الا على الذي يبدو له وفي محفته ، وعلى عرشه في قبة السماء وفي سدرة المنتهى ، ويستلهم النور الذي يشع في نفسه فتنة وروعة واغراء ، ويقف سابحا على اجنحة تلك الامواج النورانية الجارفة مواكب النور والاشراق ، وتتراءى لعينيه مواكب النور والاشراق ، وتتراءى لعينيه اطياف العشق السر مدى فيعاوده الحنين والتاعه الجوي . اكبر الظن اني لست في حاجة الى هذا الاسلوب الذي لانفهم شعر السهروردي الصوفي الا بمثله اذ لا بد للناقد ان يحس كما الشاعر يحس ويتصور ، بل يحاول على الاقل ان يعيش في اجواء شعره ولو لحظة قصيرة في قطاع من الزمان المهتوك الحجب بين الحسن والرؤى ، والتصور الروحي فليتذوق الناقد مايتذوقه ولاطرح عن نفسي هذه المهام ، واؤكد لو اني لجأت الى التعليق على كل بيت او قصيدة من قصائد السهروردي لكتبت مجلدا ، واؤكد اني لو لجأت الى التعليق والايغال الدقيق على فلسفة السهروردي لما انتهيت من الكتابة طوال عمري ! ويكفي ان نعلق على شخصيته في نبذة شاملة عابرة صغيرة ، ومن شعره الذي يصور فيه وحدته وعزمه على الرحيل قوله :

أقول لجارتي والدمع جاري
ولي عزم الرحيل عن الديار
ذريني ان أسير ولا تنوحي
فان الشهب اشرفها السواري
واني في الظلام رأيت ضوءا
كأن الليل بدل بالنهار
الى كم اجعل الحيات صحبي
الى كم اجعل التنين جاري
وأرضى بالاقامة في فلاة
وفي ظلم العناصر اين داري
ويبدو لي من الزوراء برق
يذكرني بها قرب المزار
اذا ابصرت ذاك النور أفنى
فما أدري يميني من يساري

غير ان السهروردي بقدر مايستطيع هذا التركيز

والايجاز ، فانه يتورط في الاسهاب والاطناب . كثير من اشعاره ، اومقاطع منها ، على قصرها ، اطناب ، لانه محاولة مكرورة لتصور الشيء نفسه ، لاثارة الرؤية نفسها ، حتى لتكاد نشعر انه لايفرغ من القول حول صورة او فكرة معينة ، ولن يفرغ ، لانه سيعود اليهـا وسيدور حولها مرة بعد مرة ، وبدلا مـن ان تتسع الرؤية عندئذ ، تضيق فنتسأل : ما هي التجربـة الجديدة في الحب الالهي ، والصوفي معا ، التي يريد الشاعر نقلها بالضبط ؟ .. والتكرار غير مقصور على الرؤية نفسها ، فاننا نجده في الالفاظ ايضا كم مـرة تتكرر صورة الحب ، والجوى ، والشوق ، والترقب والحنين للالتصاق ، تكاد تجدها في كل همسة مـن همسات اشعاره . والصورة في التصوير الشعـري عنده بالتكرار المدروس قد تشتد عمقا ، ولكنها ايضا قد يتهرأ معناها ، الى ان يصل الى الانعدام فـي اجترار التخيل الذي يدور في حلقة واحدة مفرغة ، او غير مفرغة ، فتصبح الكلمة في القصيدة ـ متكـلا ـ منطلقا ـ تعثرا على القارىء فتعيقه ، بـدلا مـن ان تدفعه تدفقات ابداعية الى شيء لاحق . ومثل صـور الحب ، والمنجاة الـى الوصال ، بالحبيب الاعلـى ومشتقاتها التي يرددها تصبـح اشبه بقطع نقدية محدودة يعتمد عليها صاحبها في ـ معاملاته ـ الشعرية كثيرا ما تكون الصور عدة لشعر رائع ، لانها موسيقى صور ، وسحر ملامح ، تجمع بين التجسد والحركة ، وهي غنية بالقرائن الذهنية ، والعاطفية ، والروحية بل انها ، اذا استطعنا عزلها وتناسينا اننا مررنا بهـا من قبل ، وانها ستقبل علينا من بعد ، تفعل فعلهـا الغريب في أنفسنا . وهي تتواثب نضـارة وتحليقـا وتحقق سحرها عندما يكون الشاعر قد استوعبهـا اخيرا في ادراكه استيعابا تاما ، كما يفعل في قصيـدة « الحائية » في مقطعها الطويل ، هذه القصيدة اشبه بقصيدة « الصقر » في كتاب « التحولات » « للنفري » درة ثمينة تجد فيها « السهروردي » بتجربتـه الصوفية ، التي يوزع بين تضاعيف القصيدة كلها ، تعبيرها الاروع والاتم ، وهي تمثل تقريبا ارهاصاته الصوفية في الحب الآلهي ، وفي هذه الارهاصات نجد الب الدسم الحي اللاعج مستقرا بـين التهاويل ، والتلويح ، المدومة حوله ، حتـى لنندهش كيف ان الشاعر لم يقصص الزوائد المعادة ، حفاظا على هذا الوهج الاهم . ولهذا فاننا اذ نستقصي تجربة الشاعر ونتحمل اصراره على تكرار الصور ، وترديد الالفاظ ، نبلغ مثلا القصيدة المعنونـة « العصفور والقفص » قالها وهو في اللحظات الاخيرة من ايام حياته

قـل لاصحـاب رأوني ميتـا
فبكوني اذ رأونـي حزنـا

لا تظنـوني بأنـي ميت
ليس ذا الميت والله أنـا

انا عصفـور وهـذا قفصي
طـرت منـه فتخلى رهنا

وانا اليـوم أناجـي مـلأ
وارى الله عيانـا بهنـا

فاخلعـوا الانفس عن اجسادها
فتـرون الحـق حقا بينـا

لا ترعـكم سكرة المـوت فمـا
هي الا كانتقـال مـن هنـا

عنصـر الارواح فينـا واحد
وكـذا الاجسـام جسم عمنا

ما أرى نفسـي الا أنتـم
واعتقادي انكـم انتم انـا

فارحموني ترحموا انفسكم
واعلموا انكـم في اثرنـا

مـن رآنـي فليقو نفسـه
انما الدنيـا علـى قـرن الفنا

وعليـكم مـن كلامي جملـة
فسلام الله مدح وثنـا

وهنا ندرك المعنى العميق بالكناية والتشبيـه والاستعارة ، وكما ندرك العمق الصوفي .. نـدرك فكر هذا الشاعر ، وما يدور في ثنايا روحه ووجدانه من شفافية في التأمل والنضوج في اطار صوفي خلاب وخلاق ، وبعد مسيرة ثمانية قرون تقريبا نرى المفكر « اندريه موروا » يصب هذه الفلسفة حول انطلاق

الروح من سجنها الجسدي المادي نحو ملكوت العلي الاكثر نقاء وسمرا في قصته « وازن الارواح » .. نجد التأثر الواضح بفلسفة السهروردي حول المادية ، والروحية في تكوين الانسان .

وفلسفة هذا الشاعر الصوفي الوحيدة تقربها بعد « النفري » التي يستجد فيها معنى وبريق ارتقاء الجانب الروحي للانسان ، وهي غنية جدا في صورها وملامحها ، جميلة لانها تفاجىء القارىء بايغالها وبراعة تأملاتها ، واستشفاف معاني الخلود في العالم العلوي ، اما الالفاظ الاخرى بمعانيها ، فهي لا تخلو من التكرار ، حيث تسقط عنها طاقة الايحاء .

ولكننا نرى في هذا الفيلسوف التجديد والابتكار لمن سبقوه ، ابتكار قلق يضم هاجسا يحضن الشموس العلوية وابعادها المشرقة في عالم النفحات الروحية الساحرة ، وهو يقول ايضا انه قد قتل الجسد بأدرانه منذ نشوئه ، ومزج تركيبه بالشموس ايضا ، فهي فلسفة اذن ليست قائمة اذا أحل نفسه مكانها ولم يبق منها هذا الشيء الخبيء في اغوار النفس السحيقة ، هذا الشيء الخاص المستمتع بذاته ، وقد استطاع مزجه بالابعاد اللانهايات ، عالم الرؤى والسواطع التي هي جزء من بحران صوفية الميول والنزعة .

المقطع الاول هو البحث عن الخلاص من عالم مادي مليء بالصراعات نحو المطامع الزائلة في عالم متبدل متغير باستمرار ، والفناء نتيجة محتمة له ، والمقطع الثاني من فلسفته ، التناقض والتنافر بين المادية والروحية في الاشكال والاشياء ، وتلك هي محنة الشخصيات الصوفية في تأملاتها ، وملامحها ، وتفكيرها ، خط ينسحب على حياتها . تفكير يدور في محور مقلق تتحمخض عنه تلك الشطحات الرائقة الشفافة الرائعة في كل آن . طبعا هي اجدى أن تتكتم فلسفة المتصوفين تلك الخضخضة وتعطينا الزبدة الاخيرة . والزبدة في هذه الفلسفة بالذات مهمة ، لانها استطاعت ان تخلص بصورها الحقيقة في خلق حدث معين ، يفتح لنا ابوابا أخرى من الادراك . السهروردي استطاع وبشكل جيد وصريح ان يمزج اقترانات الرمز ستار ورؤية ، اسطورة شذى واعتراف ، زهرة مزجا شديد الايحاء سطحا وعمقا ، حقيقة وخيالا ، تجربة حسية خارجية ، وتجربة نفسية وروحية باطينية . وبين هذه الاوجه - تركيب فلسفي شعري خاص . والتشبث بالعالم العلوي من خلال الزهد في العالم السفلي ، طريقة لست سهلة لطرح ذات الشاعر الصوفي على نفسه ، وعلينا من الرؤية المطلقة على نفسها ، يستمد الشاعر قوة الرؤية الممتدة امتداد الكون من عالمه الخاص ، والعام معا ولكن الماثل امامنا في هذه الرؤية هو الشاعر نفسه . فالشاعر يفصل عشقه ومأساته ، موته ، وحياته ، تفصيلا ذاتيا على مسرح يزعم انه مسرح الابعاد الكونية الاخرى ولكننا نعلم ان عالمنا الارضي هذا . وهو يريد اطلاق ذاته عن ذاتها ، وذلك بفصل الذات عن الزمان والمكان المحسوس ، فالزمن ، بعد ان بلغ حدا لا يستطيع الانسان كسر طوقه والشب عنه ، او من فوقه ، يريد السهروردي دائما تعذيب نفسه بكسره والتحرر منه . وهنا في « تشككه » ندرك القلق في شخصيته المأرجحة تارة نحو العلى ، وتارة أخرى نحو الدنى :

فز بالنعيم فان عمرك ينفد
وتغنم الدنيا فليس مخلد

واذا ظفرت بلذة فانهض لها
لا يمنعنك عن هواك مفند

وصل الصبوح مع الغبوق فانما
دنياك يوم واحد يتردد

وعدوك تشرب في الجنان مدامة
ولتندمن اذا أتاك الموعد

اذن فالذات هي اللحظة المطلقة ، لحظة الفارس العاشق ، والشاعر ، والمخلص المرتقب ، الذي لاتحده الازمان مهما تشرد ، أواسر اوقتل . فاللحظة الذاتية هي لحظة لازمنية ، لحظة انفلات من قيد التسلسل ، والزمن الأعجف ، والزمن المعقول واللامعقول ، واتحد في الكون واستشبه الوجود كله وهو متمثل في الذات الحقيقية الواحدة في آن واحد الجزء مع الكل ، والكل مع الجزء ، انها صورة تمثل المأساة والفجيعة ، وهي في نفس الوقت حقيقة المأساة والفجيعة ، وهي تمثل الموت والحياة ، وهي سر الموت والحياة . انها الذات وقد تضخمت بالشوة الصوفية

وغدت الكون باسره ، لقد اتصلت في وقفتها بالذات الالهية ، وتوحدت فيها . وكان السهروردي يدلل بذلك – وقال لي : النعيم كله لا يعرفني ، والعذاب كله يعرفني . وقال لي : معناك أقوى من السماء والارض .. ان الذات لتتأمل نفسها وتتخذ مصغرا للدنيا مسرحا لها . فالانا الذاتية مسرحها مأساوي ، واللهجة لهجة نبوءه ، أوما القوم مقامها طاغية طغيانها في كلام الانبياء ، مع غضب ، وحب ، واعجاب بالنفس وتحقير لها ، وتأرجح عنيف بين الموت ، وماوراءه ، وماقدامه . والنبي تقليديا لابد ان يتحدث عن رؤيا وعن ضرب من معراج . ورغم معظم فلسفة السهروردي كما أشارنا ،رؤى متواترة سواء ادعيت بالاستشفاف او النزوع الى تعذيب الذات للارتقاء بها الى السمو فان تجربة السهروردي هذه تتمثل في رؤيا من الطرز الديني العريق ما كان محدودا في زمن ، او عصر او شخص ، ولكن شخص هذا الصوفي لهو القدرة التناقضية الهائلة على الباس الصور والرموز السلفية . هذه الرؤيا هي سمة الغزالي ايضا ، على عمقه العقلاني والفلسفي ، وهو من اعظم الفلاسفة الصوفيين الذين استطاعوا ان يتخطوا العقل والفلسفة الى الايمان .. ايمان يتأتى عن الحدس الصوفي او الديني الخارق . فالتعاطف بينه وبين السهروردي مباشر وحقيقي ، وليس من الصعب ان نرى هذا كله استمرار السهرودي بنزعته التي كانت اشد وضوحا ومباشرة في كثير من اشعاره المسطورة ، صور اميل الى التفاؤل وترقب الانبعاث ، في حين ان نفسه الاسلامي يوحي في اغلب الاحيان الى الغضب ، ونفاذ الصبر واليأس ، ويتمخض في ولادة اشراقية مهيبة الملامح مجلة في شخصها الشفاف . فلنسمعه ينشد حلاوة الوصال والظفر به

تصرمت وحشة الليالي
وأقبلت دولة الوصال

وصار بالوصل لي حسودا
من كان في هجركم رثى لي

وحقكم بعد ان حصلتم
بكل ما فات لا أبالي

احييتموني وكنت ميتا
وبعتموني بغير غالي

الى ان يصل في القصيدة :

تشربت اعظمي هواكم
فما لغير الهوى وما لي

فما على عادم أجاجا
وعنده أعين الزلال

نجد النزعة الى خلق الصور بحرية تلقائية تقارب التجريدية في اغلب الاحيان ، وهي حرية الموقف الصوفي الذي يتخطى العقل والمنطق في محاولة منه منحنا ماهو ربما اعمق واروع .

أشم منك نسيما لست اعرفه
اظن لمياء جرت فيك اذيالا

وقوله :

ان تأملتكم فكلي عيون
أو تذكرتكم فكلي قلوب

وتجد في الوقت نفسه ، على نقيض من ذلك ، محاولة فكرية واعية يفرضها الشاعر الصوفي مسبقا اولا حقا على نفسه وحسه البدهي فرضا عنيفا . فيجند لمحاولته اشارات ورموز وايحاءات هي بعض لغة السمة الصوفية في كل عصر على مر الزمن . ولقد نجح نجاحا باهرا اذ يطلعنا على ذاتيته الهائلة محاولا تحطيم رقم فلسفة الاشراق لمن سبقوه ولمن سيأتي بعده بأجمعها ، لكي نرى الوجود والتاريخ بل الخلجات الانسانية كاملة من خلال تأملاته واشراقاته وفلسفته لقد اصبح السهروردي امام الحقيقة المطلقة وجها الوجه ، وعلى الفلسفة الصوفية ان تنتبه له بشدة وحذر شديد ، وتقوم بعض أعوجاجها برؤيته ، ولكننا نفاجيء بمغالاته التي تقلب القوم من علماء ، والدس عليه .. حتى انتهت حياته بمأساة مروعة . وأول خيوط المأساة بدأت تحاك وتنسج عندما وصل مدينة حلب ، ونزل بالمدرسة الحلوية ، وأخذ يحضر كتلميذ متواضع دروس شيخها الشريف افتخار الدين ، يريد ان يقبس من شيخ حلب انوار العلم ومصباح الهداية بعد ان جاب أرض الدنيا الواسعة ، ومرت الايام فشعر انه لم يفد شيئا .. ويبدا حياة المناظرة

والجدل مع استاذه ومع فقهاء حلب حيث كونوا عنه فكرة سيئة ، وبدأت افكاره وآراءه واقواله تنفذ الى البيئات العلمية في المدارس والجوامع والمنتديات كالنار في الهشيم ، فأصبح له شأنه وصار له مريدين احبه أناس وكرهه آخرون ، شأنه في ذلك شأن كل ذوي المواهب الفذة الذين لايكادون يظهرون حتى تتألب عليهم عناصر الجهل والغباء ، حتى والانانية ، تتكالب على اطفاء نورهم ووأدهم ، حتى اخذ الفقهاء يتقولون عليه اشياء لم يقلها ، وينسبون اليه آراء لم يفه بها .. واستطاعوا اخيرا ان يثيروا عليه نقمة الرأي العام ، وخاصة عندما ناظرهم في عدة مسائل فلم يثبت له أحد منهم وتربع عليهم اجمعين عدا شيخه المفضال شيخ المدرسة الحلوية الذي ظهر فضله وقربه مجلسه وأدناه . وقد زاده هذا التقريب من الشيخ بغضا وضغينة من خصومه الذين اخذوا يقلبون علمه جهلا وهديه ضلالا ، ويقينه شكا ، وايمانه كفرا ، وتصوفه شعوذه وفلسفته هرطقة وكل حسناته سيئات !! .

حتى تقرب من الملك الظاهر ، ودارت الاحاديث حول الضجة القائمة حوله ، فما كاد السهروردي يفيض بالحديث ، حتى لمح فيه سمو الحكمة واشراق الذهن .. وتبين للملك الظاهر البون الشاسع بين عقلية علماء المملكة وعقلية السهروردي المتحررة من كل قيد .. فقربه الملك اليه حتى اصبح من خلصائه .. ولكن هذا العطف السامي زاد قلوب العلماء حقدا عليه ، وبدأوا يشنون الحملة تلو الحملة عليه ، رموه بكل نقيصة ، كما رموه بالزندقة والالحاد وكان العلماء في واد ، والسهروردي في واد . انه جاء مدينة حلب ليتابع رسالته الاشراقية ، ليكتب مااختزنه صدره من آراء واتجاهات ، ليبدع في الفلسفة الاسلامية اصدق النظريات وبعد .. ليتابع رحلاته الى مختلف عواصم الدنيا – في الشرق والغرب ، يقف على مدى تطور الفكر ويستزيد علما ومعرفة ، شأنه في ذلك شأن الافذاذ من الذين لايروى نهمهم من علم ... ان صدره ممتلىء بالآمال الجسام .. لقد وعى فلسفة الأغريق وفلسفة الهند ، وفارس ، والفلسفة الاسلامية على مختلف صورها .. وهو يريد ان يبدع ، من هذا المزيج ، فلسفة جديدة رسم خطوطها الواضحة في فلسفته الاشراقية .. انه بلغ هذه المرتبة العلمية وهو في الثلاثين من عمره .. فماذا يكون شأنه حين يبلغ الستين مثلا ؟!..

انه في موسوعية علمه ، ونقاء سريرته واستشفاف روحه ونفسه قد وصل في الفلسفة الصوفية من السلم اعلى مراتبه ، وجلس على عرش العبقرية ، وامسك بصولجانها بجدارة وعلم ومعرفة ، وهذا ماأوغر صدر العلماء في مدينة حلب .. لانهم لايجاروه ، ولايستطيعون السير في ركبة الذي سبق زمانهم مئات السنين .. هذا الانتصار قدمس مركزهم في المجتمع ولدى الملك ايضا ، وعند الدهماء بصورة خاصة .

فكيف يسكتون عنه ؟!.. وهو الذي أفلسهم !!.. وفي نهاية المطاف ألفوا وفدا لمقابلة الملك الظاهر .. وجروا معهم جمهورا كثيفا من الدهماء للتأثير فيه .. وقد استمع اليهم بصدر رحب واخذ يناقشهم بهدوء ورفق فذهبت محاولتهم عبثا لاغناء فيه .. فطلبوا من الملك ان يصدر امره بهدر دمه ، فهاله الطلب وروعه .. كيف يهدر دم عالم صوفي شاب راى فيه انسانا اشرب قلبه بحب الله ، وصوفيا بلغ مرتبة كبار المتصوفين ، وقد سمع منه آيات بلغت رشدها في السمو والاشراق ؟!..

لقد هال على الملك ان يصبح الفكر المشرق هزاة بيد انصاف العلماء .. فردهم من حيث أتوا ، ولم يلتفت الى هذه الارهاصات التي تعطل حرية الفكر وحيوية الانتاج والابداع ، فضاق صدر العلماء والفقهاء بذلك فلجؤا الى ابيه صلاح الدين يستفزون عاطفته الدينية وسيرة صلاح الدين مشهورة بالورع والتقى ، وببغضه كتب الفلاسفة وارباب المنطق ، وقدأوهموا بهان صحبة ابنه الظاهر للسهروردي ستكون مدعاة لفساد عقيدته وعقائد الناس ، وزادوا في التهويل حين ضمنوا رسالتهم العبارة الآتية أدرك ولدك والاتلف عقيدته فما كان من صلاح الدين الا ان كتب رسالة لولده يأمره فيها بنفي السهروردي وابعاده . لكن الملك الظاهر ، وهو عليم بسر هذه المأساة التي اجادوا حبك نسيجها ، لم ينفذ أمر ابيه . فثار اللغط من جديد ، وضج العلماء وانقسم الناس الى قسمين : قسم معه وقسم عليه .
قال القاضي ابن شداد :

اقمت في حلب فرأيت اهلها مختلفين فيه ، منهم من يصدقه ، ومنهم من يزندقه والله اعلم !! ومن جديد ثار العلماء مطالبين بهدر دم السهروردي وان ينفذ الملك الظاهر أمر ابيه ، وفي النهاية قد احرجوه وراى ان خير طريقة للخروج من هذا الالحاح ان يعقد

مجلسا للمناظرة وثقته عمياء في انتصار السهروردي عليهم . وكتب الظاهر في ذلك الى أبيه صلاح الدين وافق صلاح الدين على هذا الاقتراح خشية من مغبة الظلم لاحد الطرفين المتنازعـين . وذاع الخبر في المدينة بكل مكان . وانعقد المجلس ، واحتشـد العلماء واخذت الاسئلة تنصب عليه مـن كل جـانب وصوب ، وكان يجيب عليها بهدوء واتزان ، ويدعـم اجوبته بالبراهين والحجج ـ براهين أصحاب المنطق وحجج الفلاسفة الروحانيـين والمتصوفين الذين يستمدون قواهم من روح الله .

ولم تكن حججه مستمدة من الفلاسفة الاسلاميين فحسب ، بل من صميم الدين . ومع ذلك فقد اعتبروا حججه سفسطة .. فمزج العلوم الشرعية بالمنطق من البدع والمنكرات ـ بهذا المنطق التعسفي الجائر كانوا يجادلونه ـ حتى قالوا له : « انك قلت في بعض تصانيفك ان الله قادر على ان يخلق نبيا .. وهذا مستحيل » قال : « وما وجه الاستحالة في ذلك ؟. فان الله القادر هو الذي لا يمتنع عليه شيء » فلم يفرق لسائليه بين الممكن في حد ذاته ، والممكن الذي اخبر القرآن بأنه لم يقع . ولم يتركوه يدلي برأيه فوقفوا عند هذا الجواب وحكموا عليه بالكفر وجردوه من الايمان واتهموه بانحلال العقيدة والتعطيل وسرعان ما نظموا وثيقة كفره واذاعوها على النـاس وهي تفتي بهدر دمه .

اين هذه الوثيقة ؟!. ان جميع من ارخ للملـك الظاهر والسهروردي لم يوردوا نصها ، واكتفـوا جميعهم بالالماع اليها . وهكذا نجحت المؤامرة . ورمي السهروردي بالكفر والتعطيل وحكم عليه بالموت .

وقد تأثر الملك الظاهر لهذه النهاية . حاول ان يصونه من دسائس الفقهاء وان يحميه من مؤامراتهم ولكن محاولته ذهبت بددا . وشاءت إرادة الله ان يكون مصرع هذا الحكيم على يد من اصطفاه وفضله على الكثيرين !!.

ولكن كيف ينفذ الحكم ؟

يخيل الينا ان الملك الظاهر طلب من صديقـه الفيلسوف ان يختار ميتته ، فطلب ان يحبس في مكان ما ، ويمتنع عن الطعام والشراب الى ان يموت .. وكأنما أراد السهروردي ان يمتحن نفسه ، وان يحقق نزعاته الصوفية بهـذه الميتة التي ارادها لـه المتنطعون .. فحياة الصوفيين لون من العـذاب ، او هي الفناء في سبيل الحقيقة العليا . وليس أحب الى نفسه من ان يمتنع عن الطعام والشراب تماما .. وان يعيش زاهدا متقشفا الى ان يلقى ربه .

لقد اختلفت الروايات في مصرعه ومأساته التي تفطر القلوب .

في احدى الروايات : « ان الملك الظاهر سجنه ثم خنقه في سجنه بقلعة حلب » .

وفي رواية أخرى أ « ان السلطان أمر بقتلـه وصلبه اياما » .

وعن سبط بن الجوزي في تاريخه عن ابن شداد انه قال : « لما كان يوم الجمعة ، بعد الصلاة في العاشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة اخرج الشهاب السهروردي ميتا من الحبس بحلب فتفرق له أصحابـه .

وروي بعض معاصريه انه حين علم بصدور الحكم بقتله أخذ ينشد :

أرى قـدمي أراق دمـي
وهـان دمـي فها ندمي !

نعم ، تفرقوا عنه وقبعوا في دورهم ينكرون هذا الطغيان الذي مس حرية الفكر . وقد تأثر الملـك الظاهر وندم على فعلته .. وحقد كثيرا علـى مـن جروه الى هذا المأزق الحرج الذي أودى بحياة هذا الفيلسوف الحكيم الذي تجرد عن الدنيويات ، وكتب في عهد شبابه اصفى التأملات .

ولكن ماذا يفيد الندم وقد شرب هذا الحكيم كؤوس المؤامرة حتى الموت وهو في رعاية من رعاه وفـرض حمايته عليه ؟!. يقول المؤرخون :

« انه نقم على جميع مـــن أفتوا بقتله ، فقبض عليهم ونكبهم وصادر جماعة منهم بأموال عظيمة ». فهل رضي بفعلته هذه انصار السهروردي ومريدوه؟ ربما .. ولكن هيهات ان يكون قد انتقم للفكر بعمله هذا ، وستظل ميتة السهروردي ومصرعه لطخة عار سوداء في تاريخ الظاهر الايوبي برغم ما امتاز به حكمه من حسنات . وبعد موته كتب على قبـــره ،

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة
مكنونة قد براها الله من شرف

فلم تكن تعرف الايام قيمتـــه
فردها غيرة منـه الى الصـدف

صرع وهو في السادسة والثلاثين من عمره في هذه الفترة القصيرة قد استطاع ان يحفر مجرى طويلا في حياة العقل البشري على مدى مسيرته والى الابد. وقبره اليوم معروف ، وهو بلصق مركزا لشرطة قسم « باب الفرج » احد احياء مدينة حلب. وذكراه في هذه المدينة لا يزال متصلا وان حرفت العامـــة اسمه وقالت : بوابة « الساري وردي » بدل بوابة السهروردي .

حلب ٢٠-١-١٩٨١ الدكتور محمد جبر

المراجـع :

السهروردي ـ في الحكمة الالهية
السهروردي ـ هياكل النور
ياقوت الحموي ـ معجم الادباء
ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة
ابن خالكان ـ وفيات الاعيان
ماسينيون ـ اخبار الحلاج
عبد الرحمن بدوي ـ شخصيات قلقة في الاسلام»



سعيد الجزائري

دمعة وذكرى

بقلم : حامد حسن

مات سعيد الجزائري !!

قرأتها .. قرأت هذه الجملة فانهلت دمعتان ، وانهالت ذكريات .

في مقهى البرازيل ، رجل اشيب الرأس ، وسيم الملامح ، سريع الالتفاتة يتصدر مجموعة من العاملين في حقل الحرف الاخضر ، قدمني اليه الاستاذ مدحة عكاش ، وقدمه قائلا : الاستاذ سعيد بك الجزائري .

كان ذلك في منتصف الخمسينات ..

وقال سعيد بك – وهذا اللقب كان لصيقا به لا يفارقه – مذ : قرأت لك في الصباح ، في المكشوف ، في الثقافة .. في .. في ..

وتملكتني الدهشة عندما أخذ يذكر عنوان القصائد كأنه يقرأ في كتـــاب .. ماذا ؟ هل هذا الانسان يتعقبني ؟ يرصد حركاتي ؟؟ يراقب اقوالي ؟؟ هــل أوكل اليه هذا الامر ؟؟ ذلك ما ناجيت به نفسي !!

راقبته .. يطرح القضايا الادبية ، والفكرية ، والسياسية غير متحرج ، وغير متحفظ ، شــأن الرجل الواثق بنفسه ، والمطمئن الى ما يقول .

يعب القهوة بنهم وعصبية ، يدخن كثيرا ، يرسل نكاتا لاذعة يخفف من وقعها الموجع ما يرافقها مــن مرحه وابتساماته ..

وافترقنا على موعد !!

والتقينا .. وطلب مني شيئا للنقاد ، وكــان يرأس تحريرها ، وفوجئت بعد أيام بنشر قصيدتــي « الحقيقة والحياة » افتتاحية في « النقاد » .

وعرفني على الاذاعة ، وادخلني الاستديو لاول مرة لاسجل بعض القصائد ، وجلس يراقب ، ويرصد اللفظة والنبرة ، والاداء ، حرصا على الاجادة ، وأعاد التسجيل اكثر من مرة حتى استقام له ما يريد .

وذات يوم اغتصبت لي وقتا من الاذاعة لم يكن من حقي ان اشغله . ولم أكد الج باب الاستديو حتى جاء رجل من رجال الدين ليسجل حديثا في وقته المحدد .. ولما رأى ان وقته اعطي لغيره غضب وثار وعلا صوته ، ولكن لم تكن الا همســـة ، مجــــرد همسة من أحد الموظفين حتى هدات ثائرة الرجل واستكان .. ولم تكن تلك الهمسة الا قول الموظف انها ارادة سعيد بك ، ثم اقبل الرجل على سعيد بك يحرق كلماته اعتذارا !!

وعرفني على العديد من اصحابه ،وفي طليعتهم نزار قباني ، والدكتور عبد السلام العجيلي ،وفوزي امين وغيرهم .

ويوما أخذ بيدي وبيد الشاعر نزار قباني،وذهبنا الى الاذاعة ليسمعنا ما سجله وأذاعه عنا .. وفي العودة عرج بنا على « ابي معروف » وعرفنا على شلة « النواسيين » وفيهم البائع ، والعاصر ، والشارب ، والساقي .

وقامت الوحدة بين مصر وسورية ، وهللنا للجمهورية العربية المتحدة ، وهتفنا لعبد الناصر ، محطم عرش فاروق ، ومحرر القنال ، وبطل التحدي.

كان سعيد بك متحفظا امام هذا الحدث الكبير الخطير في حياة العرب ، وتاريخهم الحديث .

كان متحفظا من الاسلوب الذي تمت به الوحدة، من العجلة ، من بعض الاشخاص . كان يخشى على التجربة من الفشل والاخفاق ، لم يكن منساقا مع هذه العواطف المندفعة بعفوية تنقصها العقلانية .

وتتابعت لقاءاتنا ... في حديقة العائلات ، في دمر ، في النادي السرياني ، في منتدى سكينة،وحيثما حل سعيد بك انعقدت ندوة الشعر والادب والسياسة في جو من المرح والظرف والكياسة .

يشرب سعيد كثيرا ولكن لم تذهب الخمرة بعقله ، بل تزيده مرحا ، ودعابة ، وطلاقة لسان ، وحدة ذهن ، وعذوبة نكتة ، وسرعة خاطر ، وحضور بديهة .

ويدخن اكثر وقد بدأ يشكو «خناقاصدريا» حادا . ويسهر اكثر واكثر ، ويلوح ذلك من الهالة الحمراء التي تحيط بمقلتيه ، ومن الانتفاخ البارز في جفونهما .

ودخلت مشفى الجامعة لاجراء عملية جراحية ، وتمادى المرض وطالت مدته ، ولكني لم اشعر بالملل، ولا بالالم ، ولا بالانقطاع عن الاهل ، لان سعيد بك يأتي في اكثر الايام لزيارتي ، وغالبا ما يصحب معه الشاعر عبد المطلب الامين والموسيقار محمد عبدالكريم أمير « البزق » . وتغلق الغرفة ، وتقهقه زجاجات الخمر ، ويدندن البزق اشجى الانغام ، ويسود [...] من المرح والادب والشعر .

ودق جرس الهاتف في غرفتي في مشفى الجامعة وقال المتكلم : أنا سعيد ، عليك ان تجهز قصيد[ة] لعيد الوحدة . وحاولت الاعتذار محتجا بالمر[ض] فلم يقبل اي اعتذار .. وشرعت بالكتابة .

وفي اليوم التالي اقتحم غرفتي موظفو الاذاع[ة] يحملون آلات التسجيل ، ويقودهم سعيد بك . وأب[عد] الاطباء بلطف ، وطرد الممرضات ، وهيأ الجو الهادي وتم التسجيل .

وجاءني بعد مدة يحمل كتابا من الرئيس عبـ[ـد] الناصر ، وكان مرسلا بواسطة الاذاعة ، ويتضمـ[ـن] ثناء على القصيدة وشكرا ، ويدعو الى بذل الجهـ[ـد] لحماية الجمهورية العربية المتحدة لتحقق وحـ[ـدة] العرب الكبرى .

وأقيم مهرجان « البحتري » على مسرح معر[ض] دمشق ، وعلى مستوى البلاد العربية ، وخـ[ـلال] الاجتماعات التمهيدية للمهرجان ظهرت بو[ادر] التنافس الادبي بين وفدي مصر وسورية ، ولكـ[ـن] بشكل نكات وتعليقات وقاد سعيد الحملة السور[ية] وتصدى له الدكتور غنيم ، والعوضي الوكيل، والشا[عرة] روحية القليني ، وصالح جودت .

وتطور التنافس الى مجابهة عندما قال الدكتـ[ـور] غنيم : ان شعراء العرب يقفون عاجزين امام معج[زة] شوقي في بيته القائل :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد ، فـ[لقاء]

وعقب عليه : هذه قصة تامة ذات فصـ[ـول] ستة ، وكل فصل مؤلف من كلمة واحدة ، ثـ[ـم] هي مرتبطة بالفاء ، والفاء للترتيب مع التعقيب كـ[ما] قرر النحاة .

وضاق سعيد ذرعا بهذه المباهاة وهذا التحـ[ـدي] فقال !!

بيت شوقي هذا يصور صاحبه شبقا مغتلمـ[ـا] مستعجلا ، ويظهر صاحبتـه رخيصة مبتذلة . كل شيء بينهما تم بسرعة تنكرها اخلاق العاشقين ثم ان شوقي لم يشرك في بيته الا حاستين مـ[ـن] الحواس الخمس وهما العين والشفتين .

وهنا لجأ المصريون الى النكتة لانقاذ موقفهم ، فقال الشاعر العوضي الوكيل : ولكن هل نسيب لفظة اللقاء الواردة في آخر البيت ففي « اللقاء » تشترك « كل » الحواس فضحكنا لحرارة النكتة .

وهنا تذكرت انني اشتركت في مسابقة اعدتها جريدة « الخبر » التي كانت تصدر في اللاذقية ، وموضوع المسابقة كان « تشطير » بيت شوقي هذا مع شرط المحافظة على التعاقب بحرف الفاء .. وفاتحت سعيدا بالامر فأخرج الورقة والقلم فأمليت عليه :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فهيام ، فلوعة ، فبكاء
فوجوم ، فغمغمات ،فهمس فكلام ، فموعد ، فلقاء

وصفق سعيد فرحا ، وطاف بالبيتين على الوفود معجبا متحديا .

واحتفظت لنفسي بفكرة التحدي فضمنت قصيدتي المعدة للمهرجان هذا النوع من القصة المتدرجة مع حرف الفاء . بناء على رغبة سعيد بك وقبوله التحدي الادبي .

وفي اليوم الاخير للمهرجان جاء دوري ، وكنا اربعة اثنان مصريان ، وهما احمد حسن الزيات ، والشاعر علي شمس الدين ، واثنان سوريان الدكتور صالح الاشتر ، وانا .. وبلغت في الالقاء قولي :

راقبته ، فأطل ، فاستقبلته
فأشاح ، فاستضحكته ، فتبسما
فغمزته ، فازور ، فاستوقفته
فارتاع ، فاستنطقته ، فتلعثما
فتركته يمضي ، فمر ، فأيننا
في مذهب الشعراء كان المجرما ؟؟

وارتفع صوت الشاعرة روحية القليني تقول : انت !! أنت ! جوابا على تساؤلي في البيت الثالث .

ووقف سعيد الجزائري يصفق ويستعيد .

ومرة في المقهى التقينا بالدكتور بديع حقي وكان من المتحمسين لظاهرة الشعر الحديث ، وكان يطلق عليه يومئذ اسم الشعر الرمزي ، وبعد نقاش حاد بينه وبين سعيد الجزائري تناول الاخير قلما وورقة فكتب عليها :

جاءني « حقي » يقول ان للرمز اصول
ان شرط الرمز الا تفهم الرمز العقول

ولما ألقى صالح جودت الشاعر المصري قصيدته في المهرجان وحمل على ظاهرة الشعر الحديث ومما قاله :

وما الشطرتان سوى المقلتين ؟ وفاقد احداهما أعور

استغل سعيد بك المناسبة وأنحى باللائمة على الوفد المصري ، واتهمه بأنه يقول ما لا يفعل ، والا كيف أجاز المجلس الاعلى لصلاح عبد الصبور ، وعبد المعطي حجازي ان يكونا في المهرجان كشاعرين (والمعروف انهما يكتبان الشعر الحديث) ولم يمض على هذا الحوار الايومان حتى وردت برقية من رئاسه المجلس الاعلى للاداب في مصر ، وكان يرائسه عباس محمود العقاد تتضمن سحب الصبور ، وحجازي من المهرجان ، فانسحب احدهما واضطر الآخر ان يشارك بقصيدة موزونة مقفاة .

واستفاقت دمشق في ٢٩ ايلول آخر ايام المهرجان على صوت المذيع : هنا دمشق بلاغ رقم ١ وانفصمت عرى الوحدة ، وكان الانفصال البغيض .

وران الوجوم على الوجوه ، وكان سعيد الجزائري اكثرنا اكتئابا .

انني وانا أستعيد تلك الذكريات واسجل هذه الكلمات اعترف بما لسعيد الجزائري من الفضل ، وبما قلد عنقي من المنن ، وما أولانيه من عناية ، وحسن توجيه في سبيل الادب الوعر الشائك .

كان سعيد الجزائري ملء الاندية ، ملء النفوس وكان ... صانع أدباء .

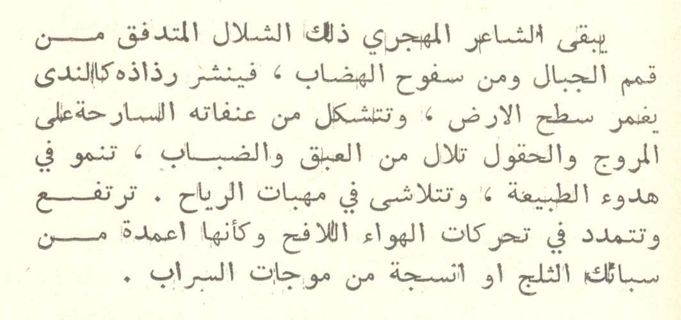
ومات سعيد الجزائري ، فخلا ندي ، وهدأ سامر ، وتحطم كأس ، وغاض معين ظرف وأدب .

الدريكيش ــ حامد حسن

من الأدب المهجري

الشاعر شفيق عبد الخالق

بقلم : نعمان حرب *



يبقى الشاعر المهجري ذلك الشلال المتدفق من قمم الجبال ومن سفوح الهضاب ، فينشر رذاذه كالندى يغمر سطح الارض ، وتتشكل من عنفاته السارحة على المروج والحقول تلال من العبق والضباب ، تنمو في هدوء الطبيعة ، وتتلاشى في مهبات الرياح . ترتفع وتتمدد في تحركات الهواء اللافح وكأنها اعمدة من سبائك الثلج او انسجة من موجات السراب .

ويستمر الشلال في هديره وجريانه ، يروي الارض ، ويبعث فيها قوة الحياة فينبت الزهر والورد ويعيش الزهر والضرع ، وتستمر الطبيعة في دوراتها الجميلة ، وفي خلودها الساحر على مصب العمر . وفي شفتي الزمن .

الشلال العظيم يوزع خيراته على جميع الكائنات الحية من جماد وانسان .

ويفيض بنعمائه على الانهار والبحار ليطعم المياه المالحة ، ويولد في احضانها اللؤلؤ والياقوت والمرجان .

في كل يوم اقف امام هذا الشلال خاشعا ، كما يقف الزاهد المتعبد امام محراب العبادة يتلمس الجنة والنعم .

وفي كل يوم انظر الى ما وراء الافق اللازوردي .

كي تكتحل عيناي برؤية الالوان الزاهية المتعددة ، ويغمض جفناي من شدة حرارة الانوار المشعة الوافدة من لمع النجوم المطرزة في أفلاك اللانهاية .

هذا هو اللهاث المعطر .
هذا هو الضوء المتثائب من أجفان الليل .
هذا هو الطيب المتدفق من خيوط القمر .

خلق وابداع وحماسة ، وكتاب مفتوح يربط القديم المشرق بالجديد المتفتح وأشعر بالصلة القوية المتماسكة بين الادب والحياة .

هذه الصلة ، هذه المفاتن ، هذا الاريج ، عمقها الادب العربي المهجري وجعل منها منارة هدى ، ومنابع معرفة وقبسات مشعة .

ويبرز امامي عالم متكامل من الفن والابداع .
وتشدني اليه أنفاس من اللهيب والطيب .
وتنجلي الصورة من وراء الافق .
وتقبل مضيئة كالشهاب بين النجوم .

وتشير باحرف من نار ونور الى فكر ملتهب ، الى روح جموح الى طبع صلف ، الى كبرياء عالية ، الى وثبة جبارة ، الى ثقة عمياء بالنفس والعزيمة .

اعزفي كي يجهض السيف على كلّ خيانه
وافضحي في الحكم اسباب التواني والجبانه
وارفضي الندب، فشعبي صار في الندب غنيا
وامسحي الدمع فان الدهر لا يرحم عيا

وكانت الصورة التي اطلت من وراء الافق ، هي صورة الشاعر الملهم شفيق عبد الخالق . فمن هو هذا الشاعر المجيد ؟

حياتـه في سطور

١ ـ ولد في قرية مجد لبعنا ـ لبنان .

٢ ـ تلقى علومه في الجامعة الوطنيـة في عاليه . تخرج منها عام ١٩٥٠ م

٣ ـ سافر في أواخر عام ١٩٥١ الى البرازيل ، استقر في مدينة سان باولو ، يعمل بالتجارة ولا يزال فيها حتى الآن . وحظه في الربح والشراء كغيره من الادباء والشعراء الذين ينظرون الى الحياة بمنظار الروح وليس بمنظار المادة .

٤ ـ نظم الشعر في الرابعة عشرة من عمره .

٥ ـ يتميز شعره بالثورية على كل الاوضاع التي تسود البلاد العربية ، والتي ادت الى تشريد ابناء فلسطين في بقاع المعمورة . والى سيطرة المشردين على أرض الميعاد .

٦ ـ له قصائد كثيرة تنضب في قناة تكاد تكون واحدة : ثورة جامحة على الاستعمار والصهيونية . دعوة صادقة للوحدة العربية الكبرى .

٧ ـ مؤمن بالوحدة العربية الكبرى . مؤمن بقوة الشعب العربي ، مؤمن بانتصار القومية العربية .

٨ ـ سيجمع ما نشر من قصائد ، وما لم ينشر في ديوان واحد يصدر قريبا .

٩ ـ عضو في « عصبة الادب العربي » في البرازيل .

نماذج من شعره

الشاعر شفيق عبد الخالق لا يفرق بين مسقط رأسه « لبنان » وبين اي قطر عربي آخر .

وهذه رائعة « بلدي » التي لم تنشر بعد ، تصور بلده : « البلاد العربية » : وهي مصدر المفاخر والامجاد وحنينه الى خمائلها وطيورها ، وشوقه الى ارضها وجبالها . هذا الشوق العارم الذي يحمله على اهداب عينيه . وهذا الحنين العميق الذي يغمر كل كيانه .

فيالها من منارة عالية لا يستطيع الضباب ان يحجبها عن العيون . ويا لها من أنوار مشعة لا تستطيع الرياح العاتية ان تحجبها عن الابصار .

بلده شامخة كالطود .

انشودة على قيثارة المجد

شامة وضاءة على جبين العصور

رسالة خالدة في قلب الزمن

قلعة في صمودها

قمـة في جهادها

نسر في عليائه .

وهي ندية في شمائلها ، خيرة في عطائها ، عظيمة في تاريخها ، وهاجة شمسها من محيطها الى خليجها . فاعظم بهذه الرسالة ، واكرم بهذا الرسول .

واسمعه يقـول :

بلدي أأرجع بعـد طـول غيـاب
لمرابع الذكرى وزهـو شبابـي

فأرى الخمائـل والطيـور صـوادحا
والشـوق محمـول على الاهداب

لا تقطـع الامـل المشوق بعودتي
اقسمت الا يستطيـل غيابـي

انا دون حبـك لا اعيش بغربتـي
وبدون انسك لا يجـود ربابـي

ولقـد جعلتك قبلتي وعبادتي
وهياكلـي ومباخـر المحـراب

انا في حمـاك زرعت قلبي فانتشى
حبـا فخفف لوعتي وعـذابي

في الشاطىء الثاني وقفت متيما
وبعثت تحناني بكل عباب

فلعل في الامواج بعض تلطف
في حمل اشواق المحب الصابي

* * *

بلدي طبعتك في المشاعر مثلما
طبعوا السماء بأنجم وشهاب

وفرشت عاطفتي عليك تحفظا
من شر غائلة وظلم سحاب
وفتحت قلبي فاحتواك بشوقه
ورعاك بالتهليل والترحاب
وطريت مغبوطا باجمل صورة
ردت الي مطامحي ورغابي

* * *

بلدي هناك موانع ومظالم
وأذى من الحكام والحجاب
وهناك طيش رعونة وتعصب
فلعله سبب من الاسباب
وعلى ذرى لبنان ألف سحابة
مشحونة بالحقد والاوصاب

* * *

بلدي هجرتك مرغما وانا الذي
عانيت بالهجران طعم الصاب
وانا الذي غناك فانبلج الضحى
املا كأنسام الندى الخلاب
رحماك يا بلدي فلست بناكر
اهلي ولا وطني ولا اترابي
انا ان ذكرت الشام همت صبابة
ملأت من امجادها اكوابي
وعلى مدى الوطن الرحيب هواجسي
من شر حساد ومن اغراب

* * *

بلدي اردتك قلعة بصمودها
تحنو على الاجيال والاحقاب
بلدي أردتك قمة ونسورها
أدنى مراتعها شموخ روابي

وطني أردتك وحدة وارادة
قومية الآمال والانساب

* * *

ان العتاب يحز في نفسي فلا
تقس علي بلومة وعتاب

انا قد رفعت لواك في شم الربى
فغدت محجات لكل عقاب

انا ان قضيت بغربتي فلأمتي
شعري وصورة حبها الجذاب

* * *

بلدي اذا ما عدت جدد صورتي
وهويتي والشوق في الاحباب

لي في الديار احبة فاذا قسا
زمني ولم ارجع فتدرك ما بي

اني عشيقك حيث كنت وصوتك
الداوي ، وزأرة ليثك الوثاب

اني سفيرك والسفارة ثورتي
ومحابري ودفاتري وكتابي

* * *

نحن مع الشاعر في احلامه وآماله . ولا نقبل ان يصرعه اليأس وكله كتلة من زهو وايمان ورجولة ومضا .

لقد ابكى « العباس بن الاحنف » ولكنه الم ييأس . واضاع « امرؤ القيس » ملكه وتاجه ولكنه لم ييأس . وفقد المهلهل اخاه كليبا وابقى على ثأره ولم ييأس . وقال ديغول كلمته المشهورة في الحرب العالمية الثانية : فنحن من « أمة عانت الصغار » كما قال شفيق معلوف

وعلى الشاعر الماجد ان يدافع بقلوبنا الى الامام ، ويملأ نفوسنا بالآمال والاحلام .

صورة حزينة يرسمها الشاعر على اطراف النجوم وعلى حوافي الفردوس ، وفي اجفان النعيم . وبها تهامن حسرة شلجية ، تسلب الحس وتعمي البصير ، وتدمي القلب .

عندما يرف العلم ويخفق ، ويجيل العربي طرفه ويحدق . ولكن في وطن غريب لا الاهل اهله ، ولا الارض أرضه ، ولا النجوم المشعة نجومه ، ولا الهواء الذي ينشقه هواؤه ، ولا الثرى الذي يلثمه ثراه .

وشتان بين الوطن المضمخ بالند والطيب الرافل الا عند اغفاءة النور ولا ينطلق الا على الجناح المهيض . في حلل المجد والفخار ، وبين الوطن السابح في احضان الليل كأنه ركام قاتم في ضمير الوجود الهائم ، لا يبرز

ولا يشعر بأنات المبعدين وصرخات المعذبين ، وآهات الوالهين الذين ساقتهم صروف الحياة القاسية الى ولوج اعتاب العتمة والظلام .

هذه النبضات الصادرة عن قلب المغترب المعبرة عن اللهفة المحرقة والعاطفة المشبوبة ، تتجلى في قصيدة « وطني » التي نظمها الشاعر . ونورد في هذه الدراسة جزءا منها قال :

شوقي الى وطني الغالي ومن فيه
قلبي يرف حنانا في اعاليه

في الحلم ابصره ، اهفو لروضته
وفي التيقظ بالآهات ابكيه

فكل اهليه اهلي في محبتهم
ولا أرى غيره يسمو بأهليه

اشقى بني الارض انسان بلا وطن
في غربة نحرت احلى امانيه

فكلما رفت الاعلام خافقة
في موطن اهله بالروح تفديه

اجيل طرفا فلا أهل ولا علم
ولا نشيد بآمالي أغنيه

لا الاهل اهلي ولا ارضي ولا وطني
ولا النجوم شعاعا في لياليه

فموطني كيف اقصى عن مباهجه
وكيف يحسر طرفي عن مغانيه
كفرت في جنة الفردوس فهي على
رفاهة وتعيم لا تضاهيه
فموطني قطعة من جنة هبطت
ارضا فصارت نعيما في معانيه
سفوحه والخزامى خير ما صنعت
يد الطبيعة من ابداع باريه

فيستميح الندى معطار روضته
وتستميح الحلى رؤيا لآليه

وتستميح المعالي طود قيمته
وتستميح من الراعي اغانيه

يكلل الثلج آكاما ويغمرها
سحرا وينساب عطرا في سواقيه
ان مت مغتربا لا تجعلوا كفني
الا تراب بلادي كي يواريه

لو كنت يا وطني صخرا واتربة
وكان غيرك تبرا لا أحابيه

فأنت أغلى على قلبي ولست ارى
الاك والغير في طور التشابيه

فارض غيري لغيري لا احن لها
ولا اراوغ انسانا لاغريه

* * *

نذرت نفسي فداء والدماء له
وصنته بفؤادي من اعاديه

يا حبذا لو أراني الحظ خضرته
وراء زورق احلامي شواطيه

حتى امرغ شوقا من ثراه فمي
ويستظل فؤادي حور واديه

واستعيد هناه من خمائله
واستعيد حياتي من روابيه

اني لاتعس خلق الله قاطبة
ان لم أكن بفؤادي من محبيه

دفقات من طيب ووجيب .. تنتشر وتسطع ... تهز الاحساس الصامت في قلب كل مغترب ، وتبعث الالم والاسى في صدر كل مقيم .

صوت فلسطين

وينشد الشاعر شفيق عبد الخالق اناشيد الثورة الفلسطينية ، يذرف دمعة من روحه ويمزق المنديل الذي يمسح به النزيف ، ويجفف الصدر الذي يبلله الاسى بصرخات الثأر .

انه لا يبكي الشجرة التي كانت شامخة فعبثت بها الدودة واستطاع الاعصار اقتلاعها .

ولا يبكي الصخرة الصلبة التي كانت تطاول الدهر بصمودها وقوتها . فتهوي عليها مطارق الحديد كي تبيدها .

ولا يبكي على انسان كان حرا في ارضه ووطنه ، فتكالبت عليه قوى البغي والطغيان حتى حرمته حريته واقتلعته من ارضه .

وقال في « اناشيد الثأر .. والحياة »

وقعي يا ريشتي لحنا انيسا وشجيا
وارفضي الحزن فلن نعشق حزنا جاهليا
واعزفي الثورة واستجلي نشاطا ثورويا
فاقحمي الموت،فيخشى الموت مئنافا ابيا

ولكن لا بد للدمعة من ان تنحدر ولا بد للجرح من ان ينز ، ولا بد من استعادة المنديل ليمسح به الجرح:

قالت اتمضي بالدم المسماح
وانا ضحية مجرم واباحي
صدري يمزقه الاسى وكرامتي
نهبى لشذاذ الدنى الاوقاح
وقداستي رقصوا على محرابها
من ينقذ الاقداس من مجتاح
وتركتني للمستبد مسارحا
ليعيث بالاجساد والارواح
في السجن اولادي وفي كف الردى
في الخافقين وعبر كل بطاح
رفضوا الخنوع واقسموا بدمائهم
حريتي الكبرى وفك سراحي
هم مأملي الزاهي وصوت عدالتي
وبريق احلامي وطعن رماحي
والصرخة الاولى بوجه مساوم
يسعى بقبضته لقص جناحي

وقال :

فغدا يثور الموج عبر خضمه
فيكيد للقرصان والملاح

شعر المعركة

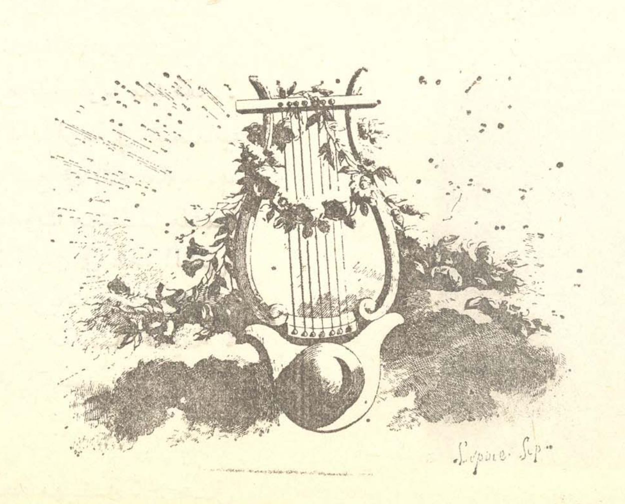
اتيت في هذه الدراسة على تعريف الشاعر شفيق عبد الخالق من خلال قصائده الوطنية وتوجيه شعره بكامله تقريبا في منحى القضية القومية ، والحنين الى الوطن ، والشوق الى ربوع العزة والكرامة . ويطول بي المجال اذا انا تابعت عرض كافة ألوان الشعر التي جاد بها الشاعر . فهناك نفحات قدسية ، وقلائد جمانية تصلح لاعناق الحسان ، وتهز اوتار القلوب . وهناك باقات من الورود والزهر جنتها يد الانسان من حديقة الفتنة والجمال .

وارى ان أشير الى الميزة الكبرى التي تطغى على شعر المهجر ، وهي الحنين والشوق الى الوطن والتغني بالتراث والامجاد . وقد كرس معظمه لخدمة المعركة القومية التي تخوضها الامة العربية .

ونحن بأشد الحاجة الى هذا الدفق الشعري الذي يفيض على أرض العروبة كي تبقى النفوس والهمم والنخوة والحمية في صدور الرجال لاسترداد حقهم السليب .

ان شعراء المهجر لم يغفلوا عن الجلجلة في العالم العربي ، وعن بعث جميع مقومات التجديد بجرأة وصراحة . وسيبقى شعرهم منارة وهاجة تضيء الطريق امام الاجيال الحاضرة والصاعدة .

السويداء : نعمان حرب



ايقاعات في القطار الساكن

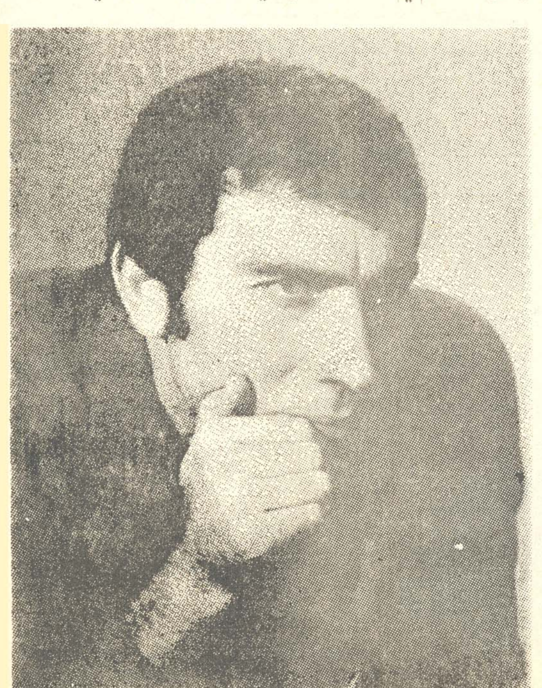
قصة : لدريد يحيى الخواجة

الشرفة حديثة جدا مسكونة بالفرح ، معبأة على كسل بالأجساد والعطور والبهرجة ، عائمة على روائح القهوة العربية في العيد ، تكاد تعانق محطة سكة الحديد في حمص . لم أرغب وسط هذا أن أحتضن الألم في داخلي أولا ، والذي بدا يعشوشب في عيني أخي ايضا .

دروب المحطة المقسومة بالسكك الحديدية الممتدة بالسفر ، افترعت غشاء ذلك الشيء الذي تدفنه في جانب مهم من اعماقك . نقف في هذا الجانب ، وحاولت أن أهرب .. حاولت ان اكون عيدا ما في مجري نهر روحي ، اللحظة .. تنحيت عن تلك الارجوحة التي تقذف اليك أذرعها فجأة كأخطبوط ، لترمي بك في الزمن . لكن ، صوتا ولد ، ترعرع غدا قويا متدفقا .. ثم عميقا يصل الى نفسي مثل ترعة غارقة في شعاب الارض ، مثل الحب المجنون الضائع في الاعصاب .. والدم .. تسرب الى المآقي ، ثم غدوت ممتلئا ملتمعا به وحولي . لم تنفعني محاولة الا اكون في هذا الشيء لم يرحمني أخي .. هز شجرة الذكريات .. وجدتني مثل شيخ هائم احترقت عيناه بنار مقدسة قديمة ، يلتقط أوراقها ، ويهز الغصن بعد الغصن ..

انسل صوت أخي مختنقا بأجنحة مهيضة : « هل تعرف ياأخي !؟ .. حقيقة .. نفتقد تلك الايام ؟! . »

تساءلت : « وهل يستطيع الانسان الا ان يكون فاقدا او مفقودا ، ولكن .. » أحسست بأني أعرف ، وأفتقد ، وأتحول . العينان تخبئان في خفايا الاحداق هذا الشيء الذي بيني وبينك .. ساح الشعاع .. فليترقرق الذي لابد ان يأتي .. وأنا أهمي بمطر



دريد الخواجة

اللهفة والحنين والمتعة المضطربة .

حوم الصوت : « هذه القطارات ياأخي ، اجمل عندي من غابات الفرنلق ، وغوطة دمشق ، ومسرات الدنيا . » .

أجل !، اعتراف وددت لو أخبرك به قبل . لكل منا أشجاره .. فالليل طالماسكن طويلا في اعماقي ، قبل ان ارى هذه القطارات العثمانية مغلقة . الأبواب على الحكايا . هذه القطارات القديمة المهملة جانب السور المقطور بعضها ببعض ، أمامنا ، شهادة . تبدو الآن متصلبة .. حيوانات أسطورية معروضة بشكل مهيب وحزين . الأشجار حولها محبولة بالسفر .. تختزن روائح الأخشاب والفحم الحجري الآتي من البعيد .. متملكة اصوات الذين مضوا..الصفارات ثمارها .. هذه أدخنة المازوت ترقش جلدها .. الاتربة شريطة على راسها .

قال أخي ونظره يسرح ، يكتشف المكان :

ـ » اتعرف شيئا مامنيف !؟ .. «

وماذا أود ان أعرف . لماذا لايسقط الانسان في جحيم الألم مرة واحدة . تكبر الاشياء وهي تبتعد ، وتفيض فيك الدهشة حين تدرك ان هذه الاجزاء الصغيرة المتفككة في أعماقك ، وانت تحيا معها عن قرب دون ان تعني لك شيئا ملحا دائما ، قد تشكل بسرعة حياة كاملة من الاشياء والناس كلما أمعنت هاربا منها . مامن شيء ينتهي أبدا . للذي مضى نلفه بأعماقنا ، ونتابع .. دائما نبدو .

ـ « اتعرف .. كانت شفاهه صامتة ، أتذكره ؟ كانت مفبشة بالألم والقوة .. بيضاء من الظلمة .. حتى عندما يبتسم صاعدا القاطرة . دائما متعب ومتحرق شوقا الى الدروب . تعس من أجلنا ، وأجره بائس مثل كل العمال ذوي الندوب العميقة .. أيام الانتداب الفرنسي . شيء مؤسف ألا نكون معه في تلك الايام .. أولا يكون معنا الآن تغيرت أشياء كثيرة ولكن .. » .

لكنه الان معنا . اجده في المستقبل . وكنا معه نحن فيه وهو فينا .. احتمل آلامنا . ونظل نحمل آلامه .. وقد نعطيه الفرح بشيء .. حين يبدا الانسان .. هنا ، لن ينتهي . لم يمض احد ابدا في مكان .. بل يحدث كل يوم في العالم . بداية أي منا ونهايته توأمان . ونظرت الى عينيه يلمع في سوادهما احساس متوهج . لكأن شيئا مدمرامضيئا معا يتأهب فيهما كالبراكين .. لكأنهما عيني رسام مثقل الأعماق .. متوتر النفس ، يوالي ، تشكيل لوحة من دون ان يحسب للألم والتعب حسابهما .. أخي !.. لا تشدني الى قاع الحزن بهذه القسوة !.

ـ « في أيام الشتاء » كان يلف أبوك نفسه بمعطف مدخن ذي خطوط خضراء ، بينما المطر يتدافع بقوة في الخارج . يصفر اغنيات من نفسه عن العمر الذي يسرع فيه ، وعن رزق العيال في اوان الشتاء القارس مشدودا الى ايقاع الرحيل في القطار .. كم لعبت في مقطوراته ، ونمت ! كم شدني صفيره السحري القادم من الاسرار ، اسابق السكة ، ألوح ، وألغط ، ارقص واهلل لابتسامة من يضمني بعينيه وقلبه قبل ان ينتشلني بيديه الى جانبه. عندما يحط في المحطة في المساء ، كنت استشم رائحة الفرح والتعب والحرارة والضحكات والثرثرات .. والتواطؤ من أبواب المسافرين المشرعة .. أتسلق الى السقف والرفوف .. اتجول بين المقاعد الفارغة أمثل بين يدي أبي دور السائق في القاطرة التي ترتاح ...

« شذا » طفلة تلألأ التلهف والبراءة في محجريها عبق فجأة صوتها بحدة بيننا : « متى نسافر ياأبي بالقطار ؟ .. ألم تعدني !؟ .. » وقبل ان يضيف .. لمحها بابتسامة تواثب فيها قلبه :

ـ « .. كان اصحابه من شغيلة سكة الحديد يبتسمون لي وأنا في نافذة القاطرة المستقرة .أرقب بين الحين والحين وجه أبيك المحترق بحمم الشمس تجاعيده تنز العرق المشوب بالشحم ولطخ الفحمات الوجاق وما يصبقه دخان الفحم الحجري المظلم .رأيته ينتقل بهمة من مركبة إلى اخرى .. يتفحصها .. يمسها .. ويحادثها .. وكفارس يفرض ارادته عليها وهو يسلسن لها العنان ويتصدى للمخاطر والمفاجأة في النهاية يقترب مني وخرقة يمسح بها تتلوى بين يديه ، سائلا : هل نمت جيدا ؟.. هل لعبت كما يجب ؟ .. هل حطمت شيئا ؟. جاء وقت الروحة .. يقبض علي من النافذة قبل ان انفر منه .. أنتقل معه قفزا ومشيا نقطع سكة بعد أخرى عرضا ونحن نتجه الى المنزل .. وبصري ممتد الى وراء .. معلق بالسفر

بحركة العجلات الساحرة .. بالرجل الذي يحشر نفسه بين المركبات الهادرة ليعلق بعضها ببعض .. بتلك الوجوه القادمة من القرى المجاورة طافحة بالفقر والتمزق والجهاد وأحزان الاعباء وهم يجرون عربة مثقلة بالفؤوس واللوالب والمعاول وقضبان الحديد والاسلاك الشائكة .. عائدين من رحلة صيانة على الخط ، قضوا ساعاتها العصبية وهم يسترجعون أغنيات الحقول المسلوبة .. »

.. مايزال أخي يحث الخطا في درب الاشواق . الطفلة تتشرب بجدما تقوله الوجوه ، والكلمات .منظر القطارات الرابضة وماحولها أخذ يزهر بالحب الذي انعكس بأشياء مما عرفه عنا . بدونا شيئا متمما في المنظر . هطلت مراحل عمرنا كالبرد . وتمتم أخي :

— « هذه القطارات عبأت ذكرياتنا . وربضت الآن قدامنا !. من كان يظن أننا سنسكن هنا على بعد رمية حجر فقط . منذ موت أبيك كثيرا ماحلمت بذلك .. صباحا يتسلق الضوء نفسي على هذا المشهد .. أمر كل يوم بالمحطة في طريقي الى العمل أعبىء صفارات القطار ورائحة الشحوم والزيوت والدخان في جيوبي وصدري ومختزيات جوانحي ، فأوزعها على الصغار : — خذوا ! هذا من رائحة جدكم — . وكل مساء تعزف الموسيقى الصدى مع اللهب بين اللهب في العمق .. هناك حيث لااستطيع ان احدد نقطة أبدأ بهما نفسي أوغيري على رقعةالعمر الذي ولى . » ..

مال الى الامام ، واشار بذراعه يرسم نصف دائرة متسعة بدات وانتهت بالشرفة . كانت قطعة الارض المختلجة المنبسطة خلف سور الاسلاك الشائكة امامنا تبدو كأن خطوطها الحديدية تمتد في اتجاه بعض جراحاتنا الداميات ...

— — « عجن أبوك هموم قاطرته بنا .. عجلاتها.. نزقها .. سرعتها .. سرها الذي يستعصي على غيره جبروتها .. حكايا الطريق في صدرها . كان يسافر ، يتسرب في الليل أي الغياب .. يركب الموت ، ويبتسم ابوك لم يعرف الا الموت ، ويبتسم .. أحاط به ولم يزغ عنه . أحيانا كان يستقر . كنا نتجمع حوله كأنه مدفأة والثلج على الابواب .. كأنه عود ثقاب تشعله في العتمة ، وفي الوحدة . » .

.. اما أنا فقد نسيته في زمن في شوارع مدينة مزدحمة أثناء الدراسة .. في أركان لاتعرف الاستقرار وحدها صفارات القطار أعادت الي الثقة بأنني مأزال أتذكر اذ عدت الى مدينتي .. بأنه مازال يحيا في مكان .. نبدو اذا لم نتذكر . وكيف نبدو اذا تذكرنا انت مطرق الراس ! .هل ثمة شيء آخر أبعد من أعماق عينيك !؟ ...

رشفت ثمالة قهوتي . مضغت أدخنة لفافتي ممتزجة بعطور النسوة . عمرت شرفة في نفسي بوجوه الأمل ، في الوقت الذي تحسست الحياة في مكان ما تنتهي الحياة في مكان ما .. تبدأ الحياة في مكان ما.. وفي مكان ما تموت وتحيا .. لكن شيئا ينطفىء في داخلي حين لااعود امشي ، أعمل ، أحمل أتعاب المساء .. اتلهف الى رؤية الأطفال والكتاب والشمس والازهار والماء .. أستشعر الحياة المتواصلة بسواعد العمال الخشنة تصب سقوف الاسمنت المسلح .. أغيب في النهار عن هذا الموت يبدأ وينتهي في الليل..

احتجت الطفلة على الصمت منا شدة : « الا تأخذني معك الى المحطة ؟ » .

هل نحتاج الى ان يأخذنا احد معه الى مكان ،او نرغب في أن نكون مع أحد في لحظة مافي مكان ، حتى لنبدو مستعدين دون رأفة ان ندفع ثمن ذلك حياتنا! لسوف ننتظر دائما أن يأتي الينا احد ..أو نأتي الى احد دون ان نضع في حسابنا حقيقة الموت او الحياة !

لماذا نفكر بكل ذلك عندما يلامس صوتنا رأسنا ؟

... اكاد ألمح الحياة فيه هنالك خلال الاشواك النابتة المتكاثفة من زمن في عجلات القطار .. على البعد أراه جزءا من هذا المستطيل من الارض يتفقد شيئا تحت المركبات المغلوبة على أمرها . قد يهيء لنا بعد ذلك شيئا .. او ينتظر ان نهيء له شيئا ،ويأتي قد يقدم الان مسلما بهدوء .. ابتسامته منايرة هذه المرة .. تشده رائحة القهوة العربية في العيد شدها الى الاحياء . يرتشف فنجانه وهو واقف ..عنده شغل دائم .. يسألنا الحديث عن أحوالنا ..ونسأله ثم يعود .. الى الحركة الدائبة .. حركة الحياة المستمرة .

ما من شيء ينتهي ابدا نتبادل معه وهب الموت للحياة . الذي مضى نلفه بأعماقنا ، ونتابع دائمانبدو بشكل ما .

سألت الطفلة : — هل تنتظر شيئا ؟! —

دريد يحيى الخواجة

حركة النشر في نادي الرياض الأدبي

بقلم : سمر روحي الفيصل

بلادنا والزيت

يقبل المرء على قراءة كتاب « بلادنا والزيت » ، الصادر عن نادي الرياض الادبي ، سلسلة كتاب الشهر رقم ٥ ، بفتور ، لانه يعتقد ان الحديث عن النفط والمال لا يتضمن مرغبات كافية ، ولكنه ما يكاد ينتهي من قراءة المقدمة التي كتبها جامع الكتاب الاستاذ عبد الله بن محمد بن خميس ، حتى تعتريه الدهشة . فالكتاب ليس عن النفط ، ولا المال ، بل عن تأثيرها في الحياة الاجتماعية والفكرية في السعودية، وبالتالي فهو كتاب في النقد الاجتماعي خطير واضح موضوعي ، يجعلك تقرؤه بسهولة ويسر ، لانه وضع الملح على الجرح كما يقولون . وما هو أشد غرابة ان تكون مواد هذا الكتاب قديمة تعود الى عشرين سنة ، اذ طرحت مجلة « الجزيرة » على قرائها ـ آنذاك ـ استفتاء حول موضوع تأثير النفط في الحياة ، وتلقت اجابات عديدة من مجموعة من رجال الادب والفكر نشرتها منجمة . ثم مضى الزيت فاذا السنون العشرون تبقي على جدية الآراء وموضوعيتها، وتبقي ـ اكثر من ذلك ـ على الباعث الحقيقي للاستفتاء . ولهذا السبب نشرها الاستاذ عبد الله في هذا الكتاب ، بعد أن جمعها من اعداد مجلة الجزيرة .

لقد وجهت مجلة الجزيرة السؤالين التاليين :

« ١ ـ تقول طائفة : ان اكتشاف الزيت في بلادنا كان فتحا جديدا لتقدمها في كافة الميادين ، وسببا في رخاء معيشة السكان ، وتطوير حياتهم ، ووفرة المال في ايديهم .

٢ ـ وتقول طائفة أخرى : ان المراد برقي الشعوب ، هو اعتمادها على نفسها وكدحها في كافة مجالات الحياة ، وايجاد شعور حي عند كافة افرادها ، يوحد أهدافها ، ويوجه مصالحها ، ويبني مستقبلها على أساس من العلم والعمل .. اما مجيء المال عن طريق الزيت وحده ، فالى حد الآن ومضرته على شعبنا اكبر من منفعته !! بدليل اننا كنا نعيش بكسب أيدينا ، ومما تخرج ارضنا (على شظف في ذلك ولكنه لذيذ) .. اما اليوم فالزراعة قد تدهورت ، والصناعة الشعبية قد اختفت، والعزائم قد خارت ، والسواعد قد ارتخت .. وكفى الشعوب مرضا ان توجد فيها هذه الصفات او بعضها ، ولو كانت تملك خزائن الارض .. ولو وقف الزيت لامر لا يبعد على احداث هذا الزمن لظهرت لنا الحقيقة المرة المؤلمة .

فما رأيكم حيال هذا ؟ واي الرأيين لديك احظى

واسلم ؟ واذا كنت ترى انه لا بد من علاج ، فما هو ؟ نرجو توضيح الادلة التي تبنون عليها حكمكم » .

ليس هناك شك في ان الاجابات المطروحة عن السؤالين لم تكن على سوية واحدة ، من حيث دقة معالجة المشكلة ، وتحديد اسبابها وطرائق حلها . الا ان هناك اتجاهين واضحين في الاجابات :

الاول : لم ير المشكلة هينة ، ولكنه تحيل على اسبابها ونتائجها بأسلوب ادبي جميل لا تخرج منه بفائدة كبيرة . ويبدو ان هذا الاسلوب مقصود لذاته ، بحيث يستطيع الكاتب الاحتماء به ، والعزوف عن طرح رأيه الصريح الواضح .

الثاني : يشارك الرأي الاول في ضخامة المشكلة ولكنه جريء في المعالجة ، واضح ، محدد ، يؤلمه ما يراه ، ويحاول تحديد المشكلة واسبابها وسبل تجاوزها .

يمثل الاتجاه الثاني غالبية الذين أدلوا برأيهم . فقد رأى محمد عمر توفيق ان الثروة التي نجمت عن ظهور النفط ليست شرا وخيرا ، وان كان المنطق يقول ان المال يساعد على التقدم والتطور . ان القضية في استغلال الثروة للتطور والاصلاح ، وليس من اجل ترسيخ التخلف . وقد شاركه في هذا الرأي علي الحصين . في حين يؤكد محمد احمد جمال وغازي حرب ومحمد بن عبد الله بن حمدان ومحمد ابن عبد الله حميد على ضرورة تنظيم الوسائل الحسنة لاستخدام الثروة في الحاضر والاحتياط للمستقبل . ويرى هؤلاء ضرورة من شبكة مواصلات دراسية ، والعناية بالزراعة والصناعة . وفي رأي محمد عمر توفيق ان اصلاح الفرد هو الحل الملائم ، لان الفرد اذا صلح صلحت الجماعة وقادت الثروة الى المنفعة العامة .

والواضح ان هناك اتفاقا على ضرورة العناية بالزراعة والصناعة . وقد رأى عبد الله بن محمد بن خميس ، جامع الكتاب ، ذلك الامر من خلال تقصي آراء الكتاب والمفكرين ، وأوضح في خاتمة الكتاب ذلك محددا الامر بأربع نقاط رآها تتكرر ، وهي :

التعليم المركز الهادف ـ انشاء شبكة مواصلات جيدة ـ استغلال الاراضي في الزراعة ـ العمل على ايجاد صناعة وطنية . والاستاذ خميس نفسه في رأيه المنشور في الكتاب يقارن الماضي بالحاضر : في الاول اعتماد على النفس ، وجلد وكفاح وصبر وانتاج ، وفي الثاني غرق في الكماليات ، والمباهاة بها والتنافس فيها .

من الواضح ان هناك تفاؤلا حذرا لدى بعض المفكرين . فعبد العزيز عبد الله الربيعي يرى ان ضرر النفط أكبر من نفعه حتى الآن ، ولكنه متفائل بالمستقبل ، شأنه في ذلك شأن عبد العزيز الرفاعي . في حين يؤكد حسن عبد الله القرشي على ضرورة التخطيط ، ويجعل ذلك هاما جدا .

ان استقصاء الآراء لا يخدمنا كثيرا هنا ، ولكن الدلالة البالغة الاهمية هي وعي الكتاب بشخصيتهم الجديدة بعد تدفق النفط ، وخوفهم من نضوبه دون ان يستعدوا لذلك ، أو يحاولوا ايجاد البدائل المناسبة . وهذا القلق على المستقبل مشروع ، يحتاج الى حدة في نقد الواقع ، والى صراحة في تحديد الاسباب ، وهذا ما يطالعه القارىء في ثنايا الكتاب ، وهو نفسه السبب الذي دفع جامع الكتاب الى تقديم عمله .

الحروب الصليبية
وأثرها في الشعر العربي

صدر الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، ضمن سلسلة كتاب الشهر (رقم ١٥) ، لمؤلفه الدكتور محمد بن علي الهرفي . يضم الكتاب أربعة فصول ، ينصرف الفصلان الاول والرابع الى تأريخ الحملات الصليبية ، واستقصاء اسبابها الدينية والتجارية والسياسية ، وحالة الشام ومصر في اثناء ذلك ، وينصرف الرابع الى ايراد نماذج من الشعر الذي قيل في مناسبات هامة في تاريخ الحروب الصليبية .

أما الفصلان الثاني والثالث فينصرفان الى الشعر الذي قيل في الحروب الصليبية . فالفصل الثاني ، وهو فصل موجز جدا ، يبحث في اثر هذه الحروب في لغة الشعر وموضوعه . فقد استخدم المؤلفون العرب نتيجة الاحتكاك بالصليبيين بعض الكلمات الاجنبية في كتاباتهم ، كما فصل ابن شداد صاحب كتاب

النوادر السلطانية . فقد استخدم كلمة « ترم » التي تعني بالانكليزية الفصل . وورد عند المقريزي استعمال كلمة « البرنس » ، وعند ابن تغري بردي كلمة« سير» . وقد تسربت هذه الكلمات الى لغة الشعر ، كما هو ملاحظ عند ابن منير الطرابلسي في قوله :

فبرنست البرنس لفـــاع خف
وجرع مر جوسك جوسلين

وعند ابن القيسراني في قوله :

كما أهـدت الاقدار للقمص أسره
واسعد قرن مـن حواه لك الاسر

أما تأثير الحروب في موضوعات الشعر فواضح في شيوع ألفاظ ، من نحو : الشرك والكفر والصليب . فقد شبه العماد الاصفهاني الكفر بالانسان الذي يعضد يديه حسرة ومرارة من شدة الندم على اهماله وتفريطه . وقد ظهر بالتأثير نفسه موضوع رثاء المدن وهجاء المتخاذلين ، والغزل بالاوربيات والحديث عن حسنهن .

أما الفصل الثالث فينصرف الى الحديث عن شعر الجهاد على انه لون جديد من ألوان الحروب الصليبية . فقد واكب الشعر الحروب طوال قرنين من الزمان ، واستمر مؤثرا قويا حتى خرج الصليبيون من بلاد المعرب . وفي هذا الشعر لاحظ المؤلف اتجاها خاصا بالدعوة الى الجهاد ، كما في قصيدة لابن الخياط واخرى لابي المظفر الابيوردي . وقد علل المؤلف بروز هذا الاتجاه بالوضع السيء للمسلمين آنذاك ، وضرورة الدعوة الى الوحدة بينهم كي يحققوا النصر على أعدائهم . كما لاحظ المؤلف اتجاها آخر انصرف الى وصف المعارك التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين . فقد تحدث الشعراء عن مشاهد القتال ، وأدوات الحروب ، وسقوط الحصون والمعاقل الافرنجية ، والمصير البائس للاعداء . وقد برز في هذا اللون طلائع ابن رزيك الوزير المصري وأسامة بن منقذ ، اذ كان الوزير يرسل الى أسامة قصيدة فيرد عليه بأخرى على الوزن والقافية نفسيهما ، متحدثا في اثناء ذلك عن معارك المسلمين التي انتصروا فيها بقيادة نورالدين زنكي . يقول أسامة في احدى هذه القصائد :

نسير الـى الاعداء والطير فوقنا
لها القوت من اعدائنا ولنا النصر

فبأس يذيب الصخر من حر ناره
ولطف له بالماء ينبجس الصخر

وجيش اذ لاقى العدو ظننتهم
أسود الشرى عنت لها الادم والعفر

ترى كل شهم في الوغى مثل سهمه
نفوذا فما يثنيه خوف ولا كثر

هناك اتجاه ثالث لاحظه المؤلف هو المديح . فقد كثر الشعر المدحي كثرة هائلة ، اذ كان يخلد أبطال الحروب وقادتها . يقول المؤلف : « والمتتبع لهذا الشعر يجد ان الشعراء مدحوا أبطال هذه الحروب في كل مناسبة ، وبعد كل معركة خاضوها وانتصروا فيها . بل انهم مدحوهم بعد بعض المعارك التي لم ينتصروا فيها ، واعتذروا عنهم ، وقووا عزائمهم للاستمرار في الجهاد . اما الصفات التي أطلقوها عليهم فكلها تتعلق بالجهاد وما يتطلبه من صفات البطولة والشجاعة والتضحية والبذل والعطاء والسماحة » . وعلى رأس الذين تم مدحهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين وصلاح الدين الايوبي . وقد حظي الاخير بعدد وافر من القصائد لانه فتح القدس ، وممن مدحه أسامة بن منقذ الذي قال فيه :

يا ناصر الاسلام حـين تخاذلت
عنه الملوك ومظهر الايمـان

بك قد أعز الله حزب جنوده
وأذل حزب الكفـر والطغيان

ومن صفات المدح الجديدة التي أوردها أسامة ابن منقذ في قصيدته المذكورة صفة بذل الاموال الطائلة للانفاق على تجهيزات القتال ، والانفاق على المجاهدين . وقد لاحظ المؤلف ان غالبية شعر المديح يتميز بصدق العاطفة وحرارتها ، اذ ان الشعراء كانوا يقولون القصائد بدافع من ايمانهم ورغبتهم في استرداد مقدسات المسلمين . ولذلك نجد ايضا ان اكثر هذه القصائد ابتعدت عن التكلف المقيت للمحسنات البديعية اذ ان الجو العام — وهو جو المعركة — يقتضي من

الشاعر ان يقدم قصيدته بوحي عاطفته الصادقة دون تكلف أو عسر . اما أبرز المعاني التي طرقها الشعراء في قصائدهم المدحية فهي : وصف الممدوحين بالشجاعة ، وشدة البأس ، والحلم والاناة والحكمة . وقيامهم بنشر العدل بين المسلمين ، ثم الاكثار من الحديث عن نصرتهم للاسلام وهزيمتهم الاعداء ، وهذا كله يتصل بطبيعة الموضوع الذي يتحدثون عنه ، ولذلك غابت صفات غابت صفات الانسان الممدوح الخاصة ، وبرز ربط الممدوح بشخصيات تاريخية لها سابقة في الجهاد والقتال . على النحو نفسه لاحظ المؤلف بروز اتجاه الهجاء والرثاء ، سواء أكان ذلك متصلا بالاعداء ام الاصدقاء .

هذا الكتاب الموجز مفيد ماتع . ولو انصرف الى دراسة الشعر العربي في عهد الحروب الصليبية ، وعزف عن تأريخ الحروب وعرض القصائد دون تحليل لها ، وبيان لقيمتها الفنية ، لارتفع درجات كثيرة في سلم الامتحان النقدي .

ذكريات وأصداء

اعتقد ان ديوان ذكريات وأصداء للدكتور وليد قصاب ، الصادر عن النادي الادبي بالرياض ـ سلسلة كتاب الشهر ـ رقم ٢٢ ، هو الاول لمؤلفه السوري المقيم في السعودية . يضم الديوان ثلاثين قصيدة ، منها ست عشرة قصيدة على أوزان الخليل ، واربع عشرة قصيدة على التفعيلة . والواضح ان توزع القصائد بين النهج الخليلي ونهج التفيعلة يترجم رأي الشاعر في أن القضية هي قضية شعر لا قضية قديم وحديث . وقد سجل في مقدمة الديوان رأيه الخاص بالخلاف بين انصار الشعر الخليلي وانصار الشعر الحديث . يقول في ذلك : « ان مقياس القدم والحداثة في حكمنا على الشعر مقياس خاطىء ضار يجب نفيه من الساحة النقدية نفيا تاما . فذات يوم تسلط مثل هذا المقياس على اذهان النقاد والعرب ـ وخاصة اللغويين والنحويين والرواة ـ فأفسد كثيرا من أحكامهم ، اذ عد كل قديم عندهم مقدسا مختارا لقدمه ، وكل جديد مستهجنا مرذولا لمجرد حداثته ، وما نحب ان يعود اليوم هذا المقياس النقدي الرديء ليتسلط على أذهان نقادنا المعاصرين مرة ثانية » .

الواضح ان الدكتور قصاب يلتفت الى الصيغة الشكلية للشعر ويهمل الجذر الاساسي لاختلاف الفريقين ، وهو جذر فكري، وموقف سياسي بالدرجة الاولى . وكانت قضية الخلاف في مراحلها الاولى تدور حول الصيغة الشكلية ، ولكنه تجاوز هذه المرحلة الى مراحل اكثر دقة . حتى ان أحدث القضايا النقدية حول الشعر الحديث تقول ان شعر التفعيلة قد بلغ مرحلة الابواب المغلقة ، وان عليه تجاوز هذه الازمة والا فانه سيقع في مأزق الجمود والمراوحة في المكان . ويطرح هؤلاء النقاد قصيدة النثر بديلا جديدا ممكنا للخروج من أزمة شعر التفعيلة . وسواء أقبلنا هذا الرأي ام رفضناه فاننا امام قضايا نقدية يطرحها شعر اليوم ، وهو مختلف جدا عن شعر الامس . وخير دليل على أن القضية ليست مقصورة على الصيغة الشكلية هو شعر الشاعر اليمني عبد الله البردوني ، فهو شعر يلتزم أوزان الخليل ، ولكنه متقدم جدا اذا وضعنا الخلفية الفكرية في حسباننا . ثم ان الموضوعية في الرأي لا تعني التعصب لفريق دون آخر ، ولا تعني ايضا التمركز في منطقة وسط بين الفريقين ، بحيث نروح نعدد سلبيات كل فريق وايجابياته . انها تعني ـ في الدلالة النهائية عرض وجهات نظر كل فريق ، وبيان الخلفيات الفكرية والفلسفية الكامنة وراءها ، سواء أكانت في وعي اصحابها أم كانت في المنطلق والجذر الاجتماعي لها . وعلى أية حال فالدكتور وليد قصاب محق في النية التي ينطلق منها ، وهي فقدان الحوار بين انصار الفريقين ، وضرورة التمسك بالحلول التي تعلي من شأن الفن الشعري ودوره الاجتماعي .

اما الديوان نفسه فيضم ـ كما اشرنا في البداية ـ ثلاثين قصيدة ، منها ست عشرة قصيدة التزم بها المؤلف اوزان الخليل ، واربع عشرة قصيدة تمسك فيها بالتفعيلة . والواضح ان المؤلف يميل الى اختيار بحور محددة ، ينظم فيها شعره . وهذه قائمة بالبحور التي نظم عليها قصائده الخليلية :

١ ـ الكامل : خمس قصائد

مجزوء الكامل : ثلاث قصائد

٢ ـ الهزج : قصيدتان

٣ ـ مجزوء الرمل : قصيدتان

٤ ـ الوامز ـ قصيدة

٥ ـ المديد : قصيدة

٦ ـ المتقارب : قصيدة

٧ ـ مجزوء الرجز : قصيدة

الملاحظ أن هناك اهتماما خاصا بالبحر الكامل في شكله التام والمجزوء على حد سواء . يليه اهتمام آخر بالبحور المجزوءة . والواضح بعد ذلك أن الدكتور وليد قصاب ميال الى الدوائر الشعرية البسيطة ، اذ لم أر له غير قصيدة واحدة من دائرة المختلف ، وهي دائرة مركبة . وضمن الدوائر البسيطة هناك ميل واضح الى دائرة المؤتلف (تسع قصائد في هذه الدائرة) ثم دائرة المجتلب (خمس قصائد في هذه الدائرة) ، ثم دائرة المتفق وفيها قصيدة واحدة ، وبذلك تشبه دائرة المختلف المركبة .

اما مضامين قصائد الديوان فالواضح ميلها الى الغنائية (الذاتية) . وهذا الامر ليس مأخذا اوميزة ، بل هو اتجاه ينطلق فيه الشاعر من اهتماماته الخاصة ، كالذكرى والحنين والغربة والحيرة والتردد عند الدكتور قصاب .. على أية حال فمن الامور الهامة الاطلاع على شعر هذا الشاعر السوري المقيم في السعودية .

المعارضات في الشعر العربي

صدر هذا الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، سلسلة كتاب الشهر (رقم ١٦) ، وهو للدكتور محمد بن سعد بن حسين . يضم الكتاب ستة فصول تأخذ على عاتقها مهمة دراسة هذا اللون الادبي في الشعر العربي بدءا بالعصر العباسي وانتهاء بأحمد شوقي في القرن العشرين ، مرورا بالمدائح النبوية ومقصورة ابن دريد ودالية الحصري ومعارضات البارودي ، وما الى ذلك .

يمهد المؤلف لكتابه بحديث عن مهمة الناقد الادبي الذي يتصدى لدراسة المعارضات ، فيرى ان « الحديث عن المعارضات حديث عن اعمال شاعرين فأكثر تناولوا موضوعا متماثلا او متشابها مما يجر الى وزن عمل كل منهم وتقويمه وقياس الاعمال بعضها ببعض لينظر ايها أجود لفظا واصدق تعبيرا واقوى تماسكا واغزر معنى واصدق عاطفة » . ثم يؤكد على ان « دراسة المعارضة يمكن اعتبارها نوعا من النقد ، كما يمكن عدها نوعا من الوصف ، اذ ان الدارس كما ينقد النصين وصاحبيهما ، كذلك يصف ما امتاز به كل واحد منهما وصفا يجب ان يكون دقيقا متقصيا. فعلينا ان نحاول الوصول الى اعماق نفس الشاعر وان نحيط بشيء مما يحيط به فنعرف جيله وبيئته ونوع ثقافة عصره لكي نصل من ذلك الى حكم صائب فيما نتناوله من اثر للشاعر لكيلا نظلمه ولا نظلم انفسنا باعطاء حكم غير صحيح . اذ ان من الخطأ ان نطالب الشاعر بأن يرى الاشياء كما نراها نحن وان يأتي منها بما نريد » . « اما ما يجب ان يلاحظ ، بل أن تكون له الصدارة فيما يراعيه الناقد ، فهو طريقة التصور وادراك ما يتصور ، ثم كيفية ابراز نتيجة ذلك في عمل ادبي شعرا كان او نثرا » . على هذا النحو يتابع المؤلف حديثه عن صفات الناقد ، فينص على ضرورة الذوبان في الشخصية المراد دراستها ، والتجرد من الذات والاهواء والميول، ونفي المؤثرات ، ودراسة حياة الشاعر وما يحيط به من ظروف واحوال ، ومعرفة البيئة التي نشأ فيها ، والمبادىء التي تشبع بها ، ونوع الثقافة التي تثقف بها . بعد ذلك يعرف المؤلف بمصطلحات كتابه وبخاصة المعارضات والنقائض .

المعارضات :

ان ينظم شاعر قصيدة او مقطوعة يحتذي فيها نصا لشاعر آخر ينسج على منواله . والغالب ان المحتذي لا بد ان يتوخى في نظمه الا يقصر دون المحتذى ، بل يعمل على أن يزيد عليه ويتفوق في صوره واخيلته ومعانيه ، وذلك لانه مقلد او متابع ومن المفروض فيمن يحاكي سابقا ان يتفوق عليه لكون الاول قد فتح له الطريق ومهده . ولا بد من التقاء النصين (المحتذى والمحتذي) في الوزن والقافية ، وليس من المفروض التقاؤهما في الموضوع ، وان كان الغالب اتحادهما فيه أيضا . ثم ان العادة جرت على ان يكون الشاعر على جانب كبير من الاجادة وحظ من المنزلة والريادة في فنه . ومن شأن المتأخران يتحرى مجرياته أو التفوق عليه ما وجد الى ذلك سبيلا .

النقائض :

ان ينقض الشاعر الآخر ما قاله الاول ، حتى يجيء بغير ما قاله . والاسم : نقيضه ، ويجمع على نقائض . وهي بحسب الاصطلاح الادبي : ان يتجه شاعر الى آخر بقصيدة هاجيا او مفتخرا ، فيعمد الآخر الى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا او نحو ذلك ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الاول . ومعنى هذا انه لا بد من وحدة الموضوع ، فخرا أو هجاء او سياسة او رثاء او نسيبا أو جملة من هذه الفنون المعروفة ، ان كان الموضوع هو مجال المناقضة ومادتها . ولا بد من وحدة البحر ، فهو الشكل الموسيقي الذي يجمع بين النقيضتين ويجذب اليه الشاعر الثاني بعد ان يختاره الاول ، ولا بد في الجملة من وحدة الروي وحركته .

على هذا النحو تختلف المعارضة عن المناقضة . ففي المعارضة موقف المقلد المعجب او المعترف ببراعة المتقدم ، ومناطها الجانب الفني وحسن الاداء ، ولا يلزم ان يكون المتعارضان متعارضين بخلاف المناقضة ، وان اتفقا في التزام وحدة البحر والقافية والموضوع .

نشأة المعارضات :

يرى بعض الباحثين ان المعارضة واكبت الشعر العربي منذ أقدم عصوره ، حيث يرجعون تاريخ نشأتها الى العصر الجاهلي ، ويعدون من ذلك ماجرى بين امرىء القيس وعلقمة الفحل حين تحاكما الى أم جندب زوجة امرىء القيس في قصيدتيهما اللتين وصفا بها الخيل . ثم نلاحظ محاولات معارضة القرآن الكريم ، وما جرى بين جميل بن معمر وعمر ابن أبي ربيعة ، وما كان بين نصيب والفرزدق من ملاحاة ومنافرة ومناظرة . ثم تأتي معارضات الفرزدق للامية كعب بن زهير « بانت سعاد » ، ومعارضة الاخطل لها ايضا . وهذا كله يشير الى ان المعارضات بمفهومها الفني قد وجدت في العصر الاموي . وقد ساعدت ضعف السليقة العربية في العصر العباسي على الاقبال على المعارضات ، لان الناس راحوا يتعلمون تثقيف ألسنتهم وتهذيب لغتهم برواية اشعار العرب ومحاكاتها والنسج على منوالها . على أن مهارة شعراء العصر العباسي جعلتهم يخرجون اعمالهم التي يقلدون فيها السابقين مخرجا جديدا ، كما نرى عند مروان بن حفصة وأبي تمام . ومن الواضح ان عددا من شعراء هذا العصر قد ساهموا في المعارضات ، كالبحتري وأبي فراس الحمداني والمعري وابي نواس والمتنبي .

وقد جارى الاندلسيون العباسيين في المعارضات ، وحاولوا اللحاق بهم مترسمين خطاهم . فقد عارض ابو الحزم بن جهور ابن الرومي في قصيدته التي فضل فيها النرجس على الورد . وروى ابن خلكان ان المنصور ابن أبي عامر أمر ابن دراج القسطلي ان يعارض قصيدة أبي نواس التي مدح بها الخصيب بن عبد الحميد ، وأولها :

أجارة بيتينا أبوك غيور
وميسور ما يرجى لديك عسير

فعارضه بقصيدة منها :

ألم تعلمي ان الثواء هو الثوى
وان بيوت العاجزين قبور

اما العصر المملوكي فهو عصر المعارضات . وقد أمسى البوصيري علما في ذلك ، ومثله صفي الدين الحلي الذي عارض المتنبي وابن المعتز ، كما عارض بشامة بن حزن النهشلي في قصيدته المشهورة :

انا محيوك يا سلمى فحيينا
وان سقيت كرام الناس فاسقينا

وان دعوت الى جلى ومكرمة
يوما سراة كرام الناس فادعينا

عارض صفي الدين الحلي هذه القصيدة فقال :

سلي الرماح العوالي عن معالينا
واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

وسائلي العرب والاتراك ما فعلت
في ارض قبر عبيد الله ايدينا

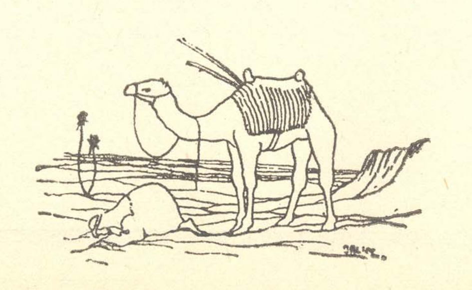
لقد شاعت المعارضات في العصر الحديث ايضا على يد البارودي وشوقي وعلي الجارم واسماعيل صبري وغيرهم ، حتى ان بعض النقاد قسم شعراء

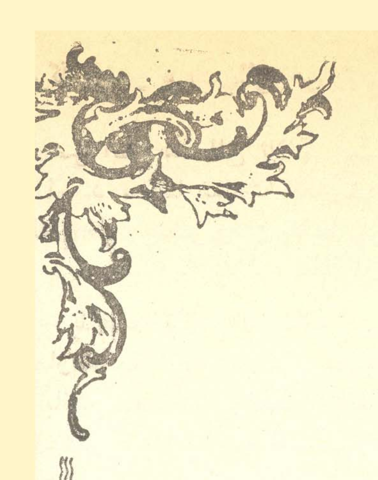
العصر الحديث الى ثلاثة اقسام : المقلد والمحافظ والمجدد . كما شاعت المعارضات في الشعر الحلمنتيشي الذي ظهر بمصر وكان خليطا من الفصحى والعامية .

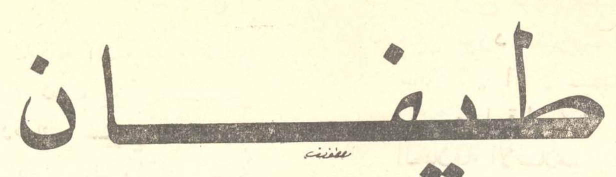
يلتفت المؤلف بعد ذلك الى المدائح النبوية واشهر معارضاتها لا يتوقف عند قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » ، وقصيدة البردة للبوصيري . ثم يخصص وقفة أخرى لمقصورة ابن دريد ودالية الحصري ، ومعارضات البارودي وشوقي لابي نواس وابي فراس والشريف الرضي وابن النبيه ، ثم معارضات شوقي للبوصيري وابن زيدون والبحتري وابي الطيب الرندي والحصري وابن سهنا . ويختتم كتابه بخلاصة عن أثر المعارضات في اللغة والادب .

ميزة هذه الدراسة الادبية تاريخية بالدرجة الاولى . فقد عني المؤلف فيها ببيان نشأة المعارضات وتطورها بين العصور : جاهلي ـ اموي ـ عباسي ـ أندلسي ـ مملوكي ـ حديث ، محاولا في اثناء ذلك الاشارة ـ ما وسعه الجهد ـ الى حال المعارضات في العصر الذي يذكره ، ثم كانت له وقفة خاصة عند المدائح النبوية ومعارضات البارودي وشوقي ومقصورة ابن دريد ودالية الحصري . ومن الواضح ان اتساع الرقعة الزمنية للدراسة قد اضر بها من حيث رغب المؤلف في توثيق هذا اللون الادبي . ذلك انه كان مضطرا للاشارات السريعة يغطي بها حال المعارضات في العصر الذي يأتي على ذكره ، ولو التفت الى عصر واحد دارسا محللا ناقدا للمعارضات التي عرفها ، وأوجز القول في تطور المعارضات خلال العصور السابقة عليه لجاء الكتاب اكثر دقة وفائدة . ويبدو ان اتساع الرقعة الزمنية قد أثرت في المنهج الذي اختطه لنفسه ، وهو منهج يقوم على المقارنة بين القصائد المتعارضة . ولذلك وضح صفات ناقد هذا اللون من الشعر ، وجهد في التأكيد عليها ، ولكنه لم يستطع تنفيذها . ففي اثناء ايراده قصيدة شوقي التي رثى فيها عبد الحميد يورد اعجابه بها ، ولكنه حين يورد معارضة ولي الدين يكن لها يعلق على ذلك قائلا : « انا لا نستطيع ان نتصور منه » ، او نسمع اكثر مما قال ، اذ انه ينتمي الى فئة حانقة على الخلافة الاسلامية ، حاقدة على الاسلام ، على انه في اسلوبه وألفاظه استطاع ان يدنو من جو شوقي ، وأن يجاريه في آفاق صوره وتعبيراته » . يقول المؤلف هذا الكلام غافلا عن انه ذكر التالي : « وما الموازنة في حقيقة امرها الا نقدا . فالتجرد من الذات والاهواء والميول ، والاقبال على النص او الشخصية المدروسة دون التأثر بأي مؤثر امر لا بد من التأكيد عليه ، فاذا لم يستطع الناقد ان يكون كذلك فان نقده يكون حينئذ لا قيمة له » . أليس في هذا تناقض واضح؟!! مثل ذلك نراه حين يذكر تقسيم احد النقاد الشعراء العصر الحديث (مقلد ـ مجدد ـ محافظ) . فهو يرفض اعمال المجددين قائلا : « واعمال الفئة الثالثة لا تصلح في نظرنا لان تكون موضع دراسة ، اذ لو حكمنا فيها معايير الشعر العربي كما نفهمه ما خرجنا منها بشيء » . ثم ان المقارنات نادرة جدا في الكتاب . ففي الصفحات الثماني والاربعين ومائة لا يجد المرء غير ثلاثة امكنة فيها مقارنة عرضية بين قصيدتين متعارضتين . وهذا هو سبب قولنا ان ميزة الدراسة تاريخية بالدرجة الاولى ، لانها جمعت في مكان واحد بين العصور المختلفة ، ووضحت حال المعارضات فيها ، وهذا أمر لا يستهان به في اية دراسة جادة لموضوع جديد .

● سمر روحي الفيصل







للشاعر: حامد حسن

الى روح صديقي الدكتور محي الدين مرهج

طيفان : طيف أبي ، وطيفك سلما … لولاهما لا أشتهي أن أحلما
نزلا على جفني ، ثم تسربا … وتوزعا في كل جارحة دما
هزىء الدجامني ، وأجفل ساعدي … لما ضممت كليهما متوهما !!
طيفان في كبدي ، وفي جفني ، وما … اشهى ، وما أحلى ، وما اندى ،وماء
عبثا بكل جوارحي وعواطفي … ما حيلتي وهما أنا ، وأنا هما ؟؟

★ ★ ★

يا ظاعنا عني ، وما ودعته … هلا تباطأت الظعائن ريثما ...
أنا ما علمت ببعض ما عانيته … ما أين لي ؟ من أين لي أن أعلما ؟
وأنا الحزين وان تضاحك ثغره … واذا تماسك دمعه ، واذا همى

★ ★ ★

هل تذكرن غداة زرتك عائدا … وأبى الطبيب عليك أن تتكلما
طلع الصباح صباح وجهك باهتا … متجهما ، وعهدته متبسما !
أنا والطبيب مع الاسى في غرفة … نزل القنوط بها ، وطاف ، وخيما
خبأت بين أضالعي حرقا ، ولو … غادرن أضلاعي حرقن الأنجما !





يا من أدار عيونه فتثاقلت ... وأراد بعض حديثه فتلعثما !!

فحرمت حتى نعميات حديثه ... ومن المرارة والاسى أن أحرما

أو ما ترى الغصص المريرة مزقت ... صدري ، وضج به الحنين ، فغمغما

أشعلت كل جحيم نار في دمي ... حتى استحال دمي ، وصار جهنما!!

★ ★ ★

هل تذكرن وما اخالك ناسيا ... عهد الصبا الحالي وكيف تصرما ؟؟

والمجد كل المجد في غلوائه ... في ظل بيت ابيك خيم ، واحتمى

بيت تجاوز في توثبه المدى ... فاذا نزلت به سموت على السما!

ومضيت تنتعل النجوم الى العلى ... وقد اتخذت حبال شمسك سلما

★ ★ ★

لا تعبأن اذا تثعلب حاسد ... واذا تنكب قوسه ، واذا رمى

أنا لا أضيق بحاسد ، وعتابه ... عندي وعندك أن نعف ونحلما

فالعين يرمدها الضحى متوهجا ... وتكون أقرب ما تكون الى العمى

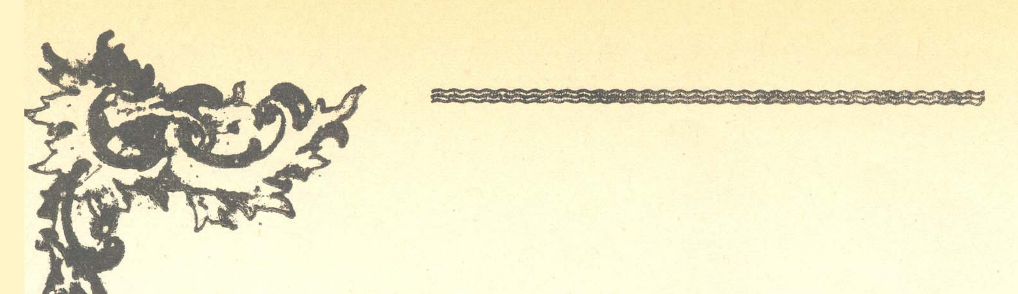
★ ★ ★

وأبيت أن ترد السياسة منهلا ... متغيرا ، كدر الموارد ، علقما

ورأيت انسان السياسة دمية ... وأبى إباؤك أن تكون من الدمى

يمتاح عطفهم ليحرز منصبا ... ويبيع عزته ليقبض درهما !





أنا ما عملت لها ، ولم أعمل ، ولو   خضت الغمار غمارها لن أهزما

مهما تبرجت البغي فحبها   يبقى على المتعففين محرما !

قالت لكل مسائل عني : لقد   راودته عن نفسه فاستعصما

★ ★ ★

عشق الطبيعة جدولا وخميلة   ورأى ابتسامة كل سوسنة فما

وترشف الشفق المضرج ، واغتنى   فيه عن الشفة الخضيبة ، واللمى

حسب الطبيعة ان تكون عشيقة   حينا ، وملهمة تغازل ملهما

★ ★ ★

نشر الشراع على الخضم ظلاله   ومضى ، فصادف عاصفا ، فتحطما

فاذا تنهدت التلال عطورها   واذا تهامس جدولان ، وتمتما

واذا انسكبت رشاشتين من السنا   وطلعت في شفة الازاهر برعما

ورمى بك الشلال أغنية على   سمع الدجا ، وأعادها مترنما

واذا استحلت خميلة لا تنتهي   من موسم الا لتطلع موسما

لا تبخلن علي بالطيف الذي   أسكنته بدل الجفون الاعظما

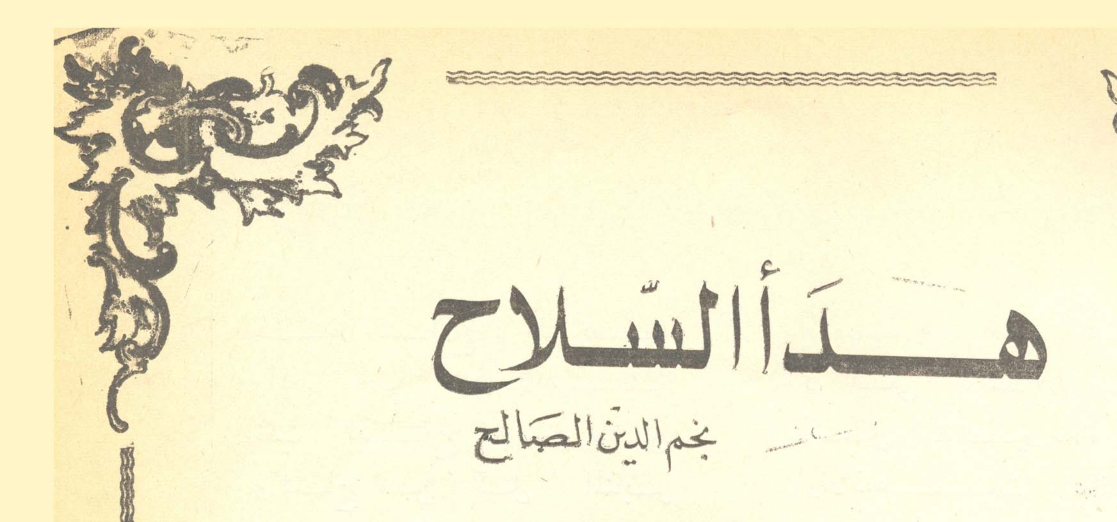
لا يرتمي وهنا على جفني ، وان   هدأ الدجا ، واحلد عشر الليل ارتمى

★ ★ ★

نم مطمئنا فالقضية في يدي   حام يزود عن العروبة والحمى

الديكيش ● حامد حسن ●





هدأ السلاح

نجم الدين الصالح

في تأبين الشاعر المعروف المغفور له الاستاذ أديب الطيار

هدأ السلاح ، ولم يعد — يا (برج) يعنيك السلاح
وأديب مات ، فلا سنا — ن على القتام ، ولا جناح
جف الشراب فكيف يصبي — الليل وجد ، والتياح
ونأى الشباب فكيف يا طيا — ر يختزل الصباح
علمت هذا الجيل كيف — تنضد الغرر الملاح
ومتى تصد العبقرية — شمسها ، ومتى تتاح
ونثرت خلفهم الاقاح — فنم بالالق الاقاح
من قال : ان ستار — معجزة البلاغة لا يزاح
من قال : ان المستحيل — أمام زخمك لا يباح
من قال : يا خدن العلا — تجري بما تهوى الرياح ؟
أكذبوا فنحن هنا السفينة ، والمشيئة والرياح
كذبوا فنحن هنا الطمو — ح اللغز ، والقدر المتاح
الشعر والرحمن توأم — فتنة وشذى وراح
وجناح الهام يرد — سماط لؤلؤه جناح
فلم استباح الخلد من — صنويه ما لا يستباح
للسيد النعمى ، وللفكر — التمزق والكساح
أو لم يحن يا لعبة الاقدار أن يثنى الجماح
أو لم يحن أن يستعيد صوابه هذا المزاح

هدأ السلاح ، ولم يعد ... يا برج يعنيك السلاح
وأديب مات : فلا سنا ... ن على القتام ، ولا جناح
تعب الكفاح ، ومل من ... كل المعايير ... الكفاح
وأشاح من كل المنابر ... والاذاعات الكفاح
لم يبق للاعصار ارزام ... هناك ولا اجتياح
فعلى م يمتد التسا ... ؤل والتمزق والصداح
والى م يعدو الملهمون ... ... وليس حولهم جناح
كم ناضلوا في الصخر ... في القدر البهيم وكم أشاحوا
كم مزقوا الاصفاد ، وانهارت زعامات وقاح
كم قيل للمحتل لا تفعل ... فقد سقط الوشاح
.. واليوم ... كل الذكريات ... شجون برق واجتراح
واليوم يا وطني الكبير ... ويا حصون هوى تباح
اليوم لا هدر اللهيب ... على الصفاح ولا صفاح
الشهب في ذي قار في ... أم القرى شهب شحاح
وخيول طارق في المضيق ، ولا نفار ، ولا جماح
ومضارب اليرموك يعرض عن تطلعها صلاح
فهل استحال الشيء غير الشيء هل هدأ النفاح
وهل انضوى الخطب الحرون ... ، ولات خلف القوم ساح

• • •

يا شاعر العنت الرفيع ... ألا تطالعك الرماح
أو ما كعادتها تهيب بك ... الاماني الفساح
وطيورك السمر المنمنمة ... القوادم والاقاح

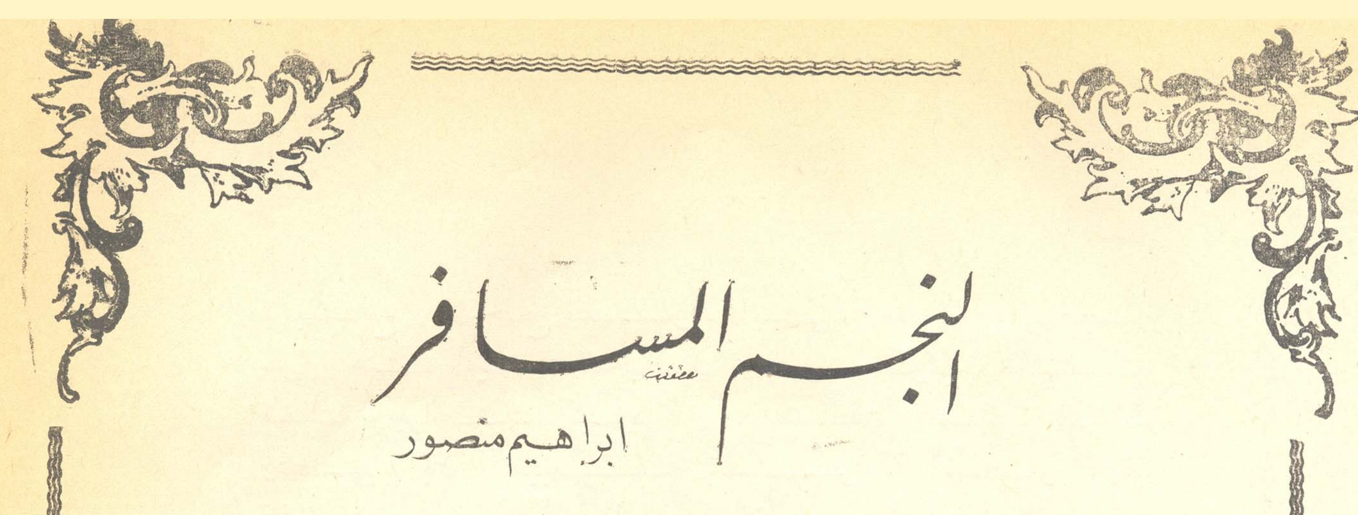
اني برمت بكل ما تركت | على الحرف الجراح
وبكل ما قال الغدو | وكل ما قال الرواح
حيث التطلع للمكاسب | والمآدب ، والطماح
حيث الكفاح على المقاطع | غير ما رسم الكفاح
حيث الصراع على رماد الكبر | ذل وانبطاح
فمتى يعود لنا اللقاء | مع العلا ومتى يتاح
ومتى تصحح درب احلام العلا تلك الصحاح
يا وحدة شلت قوادمها | وطال بها الرزاح
يا وحدة ماتت على اعتا | بها الفرص الوضاح
وبكت دموع النيل من أسرارها ما لا يباح
حيث الرماح تنوشها | وتموت في يدها الرماح
حيث العميل يقوض الاهرام ... ، والعرض المباح
حيث الصروح الشم | كل الشم ذل وانفتاح
فخذي اليك جناحها | يا شام ان عز الجناح
وتنسمي عطر الكنانة | كلما ذكت الجراح
فلكم بكت في خدرها | حسناء ، والتاعت ملاح
ولكم نزت نار الضلوع | وجرجر القدر المتاح

• • •

انهد بطرفك يا أديب | فقد تصالبت الرياح
أنسيت يوم النصر : | يوم على الشموس لنا وشاح
وظلال ناصر في فجاج | الارض أغنية وراح
والوحدة العربية السمراء | أغنية وراح
ومواكب القطرين ارزام | وزخم واجتياح

أنسيت كيف سموا بوحدتنا وكيف بهـا أطاحوا
ومـع العمالـة كيـف طبعت العلاقـة والجناح
فعلى طحالبهـا يثير نقيقه زير وقاح
وعلى الطحالب بات يمتاح الملوك بهـا امتياح
وعلى الطحالب ساريات الكـرخ ، والرقص السماح
لم يبق الا شامخـا ... في الشـام رمز واصطلاح
وهـو يرجرح في الضلوع وهمس سر لا يبـاح
فتضوعي يا قبلة الاحباب : حيث هـم أشاحوا
تطلعي يا سدرة الشعرى : فما عقـم الصباح
فعسى يقود النصر ثانية على الدلتا الصباح
وعسى على القدس السليب تعود للفتح الجراح
.. وعسى فهذا يا رفيق الدرب ما أبقت سجاح
ألحان رواد تلوب على ضلوعهم ... البطـاح
ورجاء رواد تشب على جراحهم ... البطـاح
يبكون والنجـادة الاعلون قـد ولوا رواحوا
لم يبق الا شامخـا في الشام رمز واصطلاح
وملثـم تزهو بوقفته البيـارق والرمـاح
فأهدأ فلن يقف العبير ، يمل الهدر سـاح
سيظل خلف جدارك المهجور بوح وانفتح
وعلى الكـوى سيظل يا ترب الهوى هذا الصداح
وعلى الكوى سيظل يلحف بالجوى هذا الصداح

● نجم الدين الصالح ●



النجم المسافر

ابراهيم منصور

القيت في الحفلة التأبينية الكبرى للاديب المربي (اديب الطيار) في صافيتا .
في أواسط الثلاثينات كان الفقيد الكبير استاذي غرس بقلبي حب الحرف حب الوطن فالى روحه اقدم هذه الباقة من حدائقه .
(ابراهيم)

لا تسألي أين المسار   لا كيف ؟ شط بنا المزار
غرد تعشقه السفار   غنى ملاحمه وطار
نجم الهي السنا   القى منائره وغار
اين الاحبة ؟ والمدى   أضحى لحظوتهم دثار
أين الاحبة ؟ لم اجد   في لهفتي الا الشرار
وبقيت أجتر الصدى   واعب من جرحي الجرار
جرحي الثخين كتمته   عمقا تمرد فاستطار
أدب الجراح اذا سمت   ان لا يمر بها الجهار
وتلفت القلب المشوق   فلا لميس ولا نوار
لا نجد في مرمى الجفون   ولا شميم ولا عرار
وشراعي المسكين في   شدق العواصف والبحار

• • •

من تقرع الاجراس في   ذكراه ترتيل انتصار
ذكراه نصر للبقاء   على الفناء ولا فخار
يا برج ! يا مهد النسور   الشم يا عالي النجار
من ها هنا انبثق الشعاع   وها هنا غنى الهزار

لا بـدع ان حج الفـؤاد الـى هنـا ورمى الجمار
سل عنـه أقيـاد الدخيـل وسـل حـراب المستشـار
صفعت جراحـك كبره فتساقطت تلك الشفار
ودعـى بان الجبهـة السمـراء اعصـار وغار
عطـر الرجولة بالمصاعب لا بتفجـير الغبـار
بـين الرجـولة والخلود بموطنـي ابـدا حوار

• • •

في مزود الالـم المقـدس عشـت يا عف الازار
لا مـال في الدنيـا جمعت ولا حطـام ولا عقار
أيسـرت حرفـا مشرقـا وكـذاك يلتمس اليسار
فتنتـك حسنـاء المعالـي لا لمـى ذات الخمـار
يـا حب سقراط الحقيقـة حـين فكـر ثم ثـار
يا رفض اربـاء الحطـام كمـا استبـان فتى غفار
يا بسمـة الطفـل العظيـم يكـغ في جـوف المغار
تلـك اللآلـي من تشـيرك لا العقيـق ولا النضار
تلـك اللآلي مـن نظيمك كـل أشـواق المحار
فلـرب حسنـاء اشتهت منهـا القـلادة والسـوار

• • •

أحببت فيـك الفعـل سبـاق المباديء والشعـار
أحببت فيـك الفكـرة العذراء مـن نـور ونـار
وأعـرت جفنـك للصبـاح ولا يـلام اذا استعـار
هـاك : السنابـل أثقلت وتفتحت زحـم الثمـار

كل المواسم اعلنت من صدرك الحاني البذار
شسمان : روحك بالعطاء وشمس رابعة النهار

● ● ●

من كرمك المسحور أدماني فقدست العقار
وصلبت في جفني اليباس فكل أحلامي اخضرار
وبرزت في ذاتي الشموس وكنت من ذاتي المدار

● ● ●

سمرت رسمك بؤبؤي وجعلت اجفاني الاطار
اقلعت من جفني ضحى لتحط في قلبي المطار
ابدأ فضاؤك جانحي ان كنت او كان الشرار
انا من عرفت صميمه وخبرت حالا ودار
أنا ذلك الملاح تساه وجفنه رهن المنار
مسخ الزمان بشرعتي من لا أنار ولا استنار
للموت اشباه الرجال تجلببوا خزيا وعار
اتخذوا هواهم عجلهم عبدوا به حتى الخوار
والقدس ! محراب السماء يئن في فك الاسار

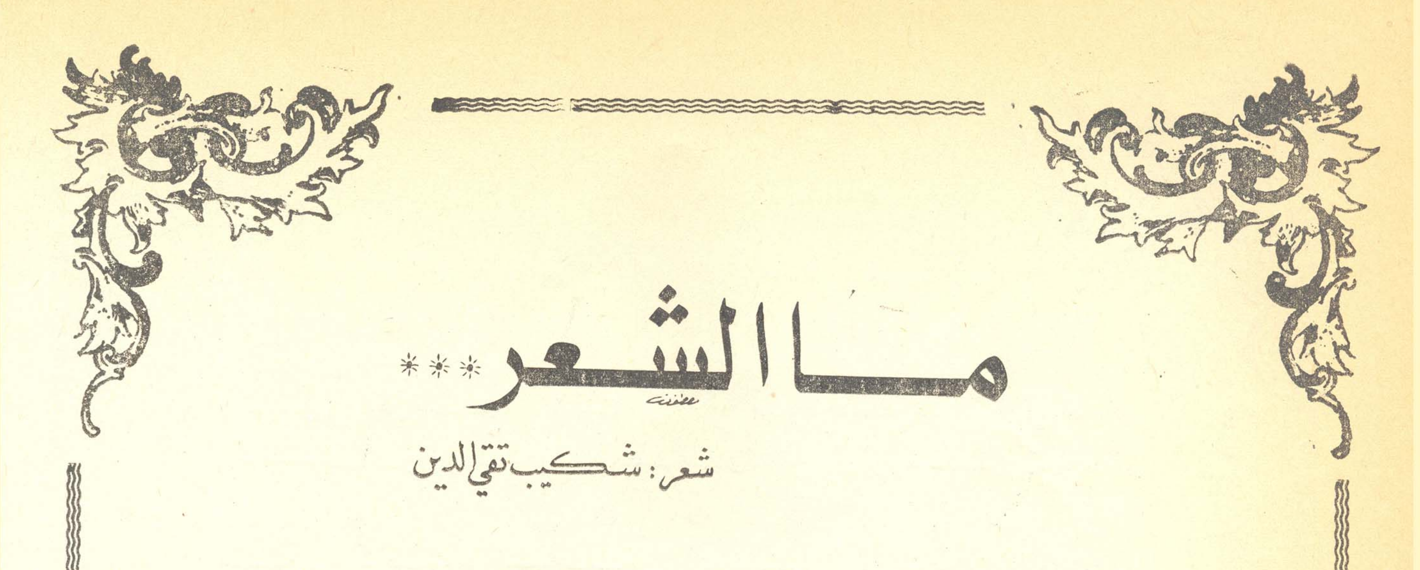
● ● ●

طوبى لذاك المارد الجبار جيش الانتصار
وفتاه قائدنا الحكيم الحافظ الحامي الزمار

● ● ●

قلبي على شفتي هنا حرف أقدمه اعتذار
حسبي بانك خالد مدماك ذياك الجدار

● ابراهيم منصور ●



ما الشعر

شعر: شكيب تقي الدين

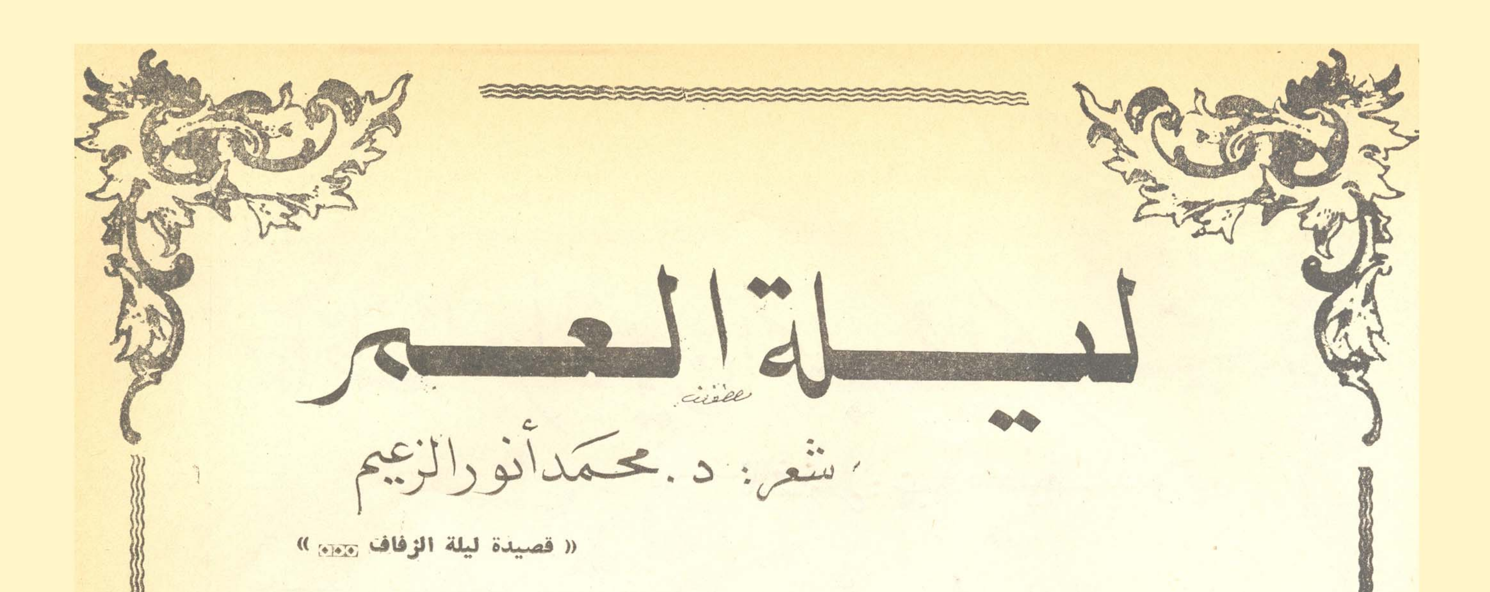
قصيدة من وحي ديوان (يا ليل) وان جاءت مدفوعة بعامل النقد فهي تقريظ يتلمس مكانا وضيعا صادقة من قلب يحب الصدق .

ما الشعر يا صاح وكيف استحال
جنية يفتن فيها الرجال
ان الهمت اشفت وان اينعت
نصت على النجدين معنى النضال
ما زلت انسانا بأشواقه
أنسل من احدى ضلوعي سؤال
قد ضج في صدري طويلا ولم
يلق جوابا مستفيضا لحال
فرف كالعطر الى نسمة
شعرية من نسمات الجبال
يسألها عن هارب في الدجى
أودع فيه لمسات الجلال
في ليلة لا أمس فيها ولا
معنى لآت يستفز الخيال
أجابت النسمة يا شاعري
ان يغدر الظل فشيء محال

فالظل لون الشعر في جنة
أرقصها الفن البريء الحلال
على لحون الشوق ثم مضى
يعلل الوصل و عز الوصال
فاسترحم الارض التي انبتت
ما في السموات عزيز المنال
والحب ألا تدرك المنتهى
والشعر همس لرفيف الظلال
كلاهما سر وما فيهما
دام وشاف قصص في الجمال
وان سمعت الارض تبكي فلا
تحسبها قد آذنت بالزوال
أغرقها نوح ولما بكت
اطلعها جنية ثم قال
هل تشرق الشمس على أبحر
لا موج فيها لحرير الرمال ؟●

سان بولو ١٦-٦-١٩٨١

● شكيب تقي الدين ●



ليلة العمر

شعر: د. محمد أنور الزعيم

« قصيدة ليلة الزفاف ... »

ما أجمل الليلة يا فاطمه ... كأنها أغرودة ناغمه
دافئة كالحلم أو كالمنى ... مسكرة كالنشوة الدائمه
يتيه نور البدر من حسنها ... والشهب الفتانة الناسمه
وترقص الدنيا على لحنها ... وتشرئب الزهرة الفاغمه

★ ★ ★

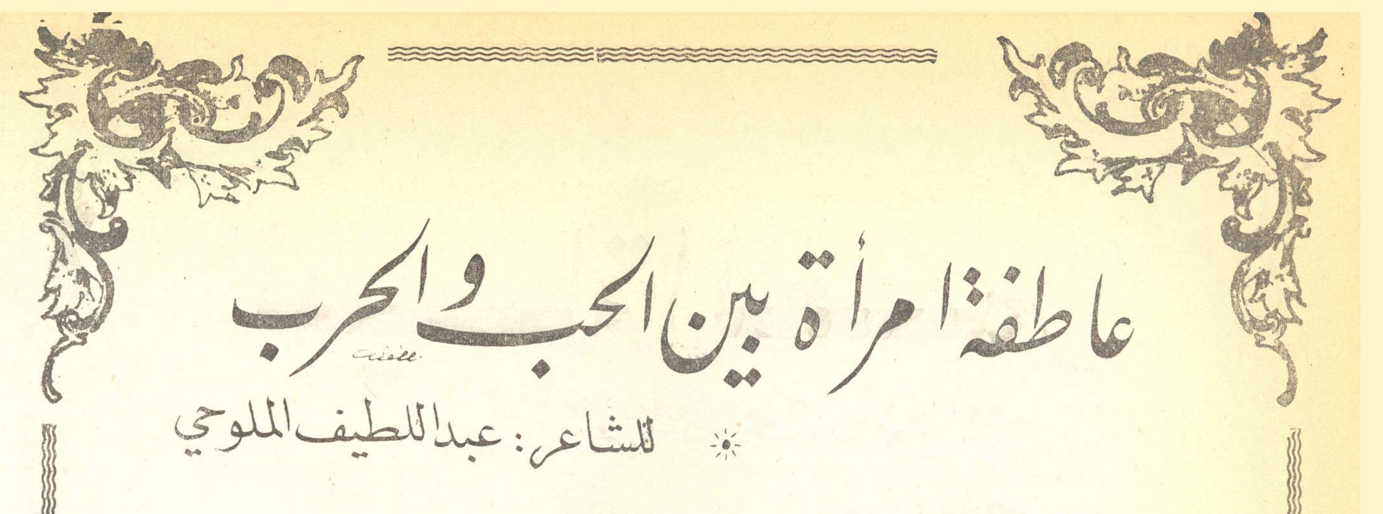
واذ تميلين على مرفقي ... في غفوة ناعمة ناعمه
هادئة كالبدر في أفقه ... وديعة كالقطة النائمه
أفدي بروحي قبلة حلوة ... تجن فيها الشفة اللاثمه
ويغرق الثغران من سحرها ... في سكرة طاغية عارمه
وتسبح الروحان في نشوة ... عليا وفي غيبوبة حالمه
ويلتقي الشوقان بعد النوى ... في لهفة محرقة جامحه

★ ★ ★

ما أجمل الليلة يا فاطمه ... كأنها أغرودة ناغمه
ونحن فيها نشوة حلوة ... هيمان لاقى في الهوى هائمه



حلب ـ الدكتور محمد انور الزعيم



عاطفة امرأة بين الحب والحرب

للشاعر: عبد اللطيف الملوحي

عجاب صدودك بعد الرضى ... الم تقسمي اين اين القسم ...؟
ألست التي ملكت خاطري ... ومن الهمتني وحي القلم ..؟
نسيت تحالفنا في الظلال ... وما كان من أمسنا المنصرم
كأنك لم تمنحيني الوصال ... ولم تسمعيني عذب النغم ..؟
ظلمت فؤادي يا غادتي ... وما أنت اول من قد ظلم
سأخطب ودك طول الزمان ... ولو صرت رهن البلى والعدم
حرام عليك اذا ما هجرت ... وأججت في النفس نار الالم

★ ★ ★

أجابت وقد ضج منها الفؤاد ... كأن الحميم به يضطرم
أريدك فوق الشعور النبيل ... عظيم الجناب جليل الهمم
ألست سليل بني امة ... تسامت الى المجد منذ القدم
تعال الى الله يا فاتني ... نكفر عن طيشنا بالندم
ونتبع آثار قوم سموا ... وكانوا الحماة لاسمى علم
غريب ملامك يا مأملي ... اترقص والناس غرقى بدم
أتشكو الغرام وهذا الصراع ... يبيد الشعوب ويفني الامم
هي الحرب منذ الزمان القديم ... عجوز البلايا وبنت النقم
تثور وتودي بنا للهلاك ... وتقذف نيرانها والحمم
فيسفك فيها دم الابرياء ... ويقتل فيها رجال الهمم

★ ★ ★

بربك عد بعد ان ينتهي ... صراع الشعوب ويرجى السلم
هنالك اعطيك ما تشتهي ... ونرجع عهدا مضى وانصرم
فان من العار ان نلتقي ... لبث غرام وتقبيل فم
وتلك الشعوب تلاقي الحتوف ... وتسبح في لجج من الم

● **حمص – عبد اللطيف الملوحي**



في ذكرى أربعين فقيد الشام العلامة المرحوم

محمد أبي اليسر عابدين

قالوا هوى صرح الشآم العالي ... وطوى، الردى علامة الاجيال

قلت الفضائل لا يغيبها الثرى ... ان غاب ذو الانعام والافضال

والعطر لا يبلى شذاه وقد ذوت ... أزهاره والغصن عود بال

والنور ان تحجبه سود غمائم ... فبغيثها متنفس الآمال

الله أكبر والخلود لسيرة ... حفلت بآيات التراث الغالي

من للمنابر يعتلي صهواتها ... يا فارسا جلى بكل مجال

في الدين ألبسه الاله مهابة ... فغدا علي القدر دون تعال

في العلم كان لنا منار هداية ... فمحا ظلام جهالة وضلال

واذا تحدث كان خير محدث ... بطلاقة وتواضع وجلال

فكأنه في علمه موسوعة ... خلدت فأضحت مضرب الامثال

يا أيها الشيخ الذي أفتى الورى ... بفرائد من صائب الاقوال

ما ضن من يفدي وان عز الفدا ... فخر الرجال بروحه والمال

لكن حكم الموت أمر مبرم ... يسري على الدنيا بغير جدال

فالعفو منك اذا وقفت مودعا ... بتلعثم مني وضعف مقال

والصفح أرجو ان هفوت فليس لي ... قلم كمثل يراعك السيال

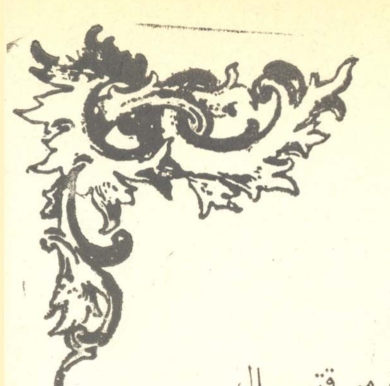
فالمرء يغريه التسامح ان رأى ... قلبا كبيرا من أب مفضال

فاطمع بحلم ذوي المكارم واغترف ... من منهل العلامة السلسال

واقصد كبير القوم واطرق بابه ... يفتح بلا من ولا تسآل

واقهر عدوك في الرباط تعده ... فالقدس تذبحها يد الانذال

فالحق يؤخذ بالصوارم والدما ... فاضرب بسيف الحق باستبسال



واحمل على الباغي وفرق شمله ... والنصر يحلو بعد مر قتال

والزم لنفسك في حياتك موقفا ... واجهر بقول الحق غير مبال

فالعيش لا يزهو بغير مواقف ... تضع الرجال بمستوى الابطال

يا راحلا عنا كأنك بيننا ... تروي حديث المصطفى والآل

وتوجه الابناء للتقوى وهم ... في عنفوان المارد المختال

فاذا هم طوع البنان مرونة ... وصلابة بضراوة الرئبال

ما مات من وسم الحياة بميسم ... متميز بجلائل الاعمال

ان الرجال حياتهم لا تنتهي ... بنهاية الاعمار والآجال

هم يرحلون وذكرهم بين الورى ... باق يخلدهم على الآزال

فعزاء من فقدوك انك مالىء ... دنياهم حمدا وطيب فعال

شتان ما بين المورث أهله ... ذوب الحجا ومورث الاموال

فالعلم ليس بزائل بين الورى ... ويزول عنك المال أي زوال

ما مات من أبناؤه حشوا الخطى ... نحو الكمال بلا ونى وكلال

ان الامامة في الاصول قمينة ... بتعاقب ، لنجابة الانجال

فالليث سيد غابه فاذا قضى ... آلت سيادته الى الاشبال

لا دق قلب للمحب اذا سلا ... ذكر الاحبة بعد شد رحال

لا رف طرف لا يرى أحبابه ... الا ذوي جاه وقدر عال

ان المحب هو الذي لا ينثني ... عن حبه في الحل والترحال

فمن المروءة أن يظل وفاؤنا ... مزنا هتونا دائم التهطال

لك شعلة أبد الزمان مضيئة ... درب الورى بتقى وطيب خصال

فاهنأ بمثوى الخالدين منعما ... واسعد بخير مثوبة ومال

فالنهج نهجك في المكارم والتقى ... والجمع نساج على المنوال

اللواء المتقاعد عبد المجيد تجار

ابو نواس بين الرمزية والسخرية

محمد علي اسماعيل

تمهيـــد :

كثيرة هي الدراسات التي تضرب أعماق التراث العربي تلك التي يتوخى القارىء ان يجد فيها شفاء لتسآله ومقيلا لمطيته ليجلس في ظل حقيقة خلدت اليها نفسه وأطمان اليها قلبه بعد مشقة طويلة وكثرة عناء .

لكن ما اكثر الدراسات النقدية واغزرها تملأ صفحات مجلاتنا وجرائدنا اليومية منها من تنكب جادة الصواب ومنها غير ذلك ولكن ما هي الطروحات الاكثر موضوعية في هذا المجال لدراسة التراث العربي دراسة اقرب الى الموضوعية وأبعد عن تلك الدراسات النفسانية التي تعتمد الاسلوب العلمي الجاف في تحليل وتصوير واقع معين ؟ تلك الدراسات صاحبة القوالب الجافة المصنعة التي يحاول بعض نقادنا الاتكاء عليها لتفسير واقعه معينة في هذا التراث . نحن احوج مانكون في هذه الدراسات لاحياء الماضي احياء تاما وبعثة من جديد بكل موضوعية وواقعية ولو ادى ذلك الى هدم مجموعة من الاركان والقواعد الاساسية الذي اصبح مجموعة من القناعات المسلم بها في اذهان السواد الاعظم من شعوبنا الشرقية .

أقول هدما للقواعد لكن ماهي وسيلتنا في ذلك ؟؟

لابد من أن تكون وسائل مشروعة علمية تعتمد روح البحث العلمي وتتقفى صلب الحقيقية من خلال آثار الماضين التاريخي ووثائقهم المتناثرة . هنا وهنالك في كتب التراجم والتاريخ والاجتماع . .

لقد كثرت في الاونة الاخيرة الدراسات النفسية وكثرت مدارس التحليل النفسي وتعددت اشكال الوجودية ومعانيها لدى الكثير من الفلاسفة الغربيين خاصة تلك الفلسفات التي تعنى بتحليل النفس الانسانية الى مجموعة من النزوات والرغبات الظاهرة والباطنة التي لايمكن ادراكها بواسطة العقل الظاهر بل هي خفية مستورة في طيات العقل الباطن واليها تعزى الكثير من تصرفاتنا . ان ذلك كاد يصل الى علم تجريدي محض فلا غرور لاملام . الكن الخوف يكمن في ان بعض نقادنا راح يعب من هذه الدراسات على تعدد مذاهبها وتناقضها مع بعضها احيانا راح بعض نقادنا بالتهام ماأتسعت معدتهم من ذلك العلم وجاؤوا ليفترشوا التراث العربي ويخرجوا من بطونهم عصارة غثيان على موروثنا الثقافي والتاريخي محاولة منهم دراسة الوقائع التاريخية التي لم يتوصل الى حقيقتها المقنعة حتى الان كبار نقادنا . لقد درسوا بعض شعرائنا بالوسيلة هذه شاء هؤلاء الشعراء ان يرتدوا هذه الجبة ام ابوا . لقد اقتيد ابو نواس من قبره وجيىء به شر جيئة للمثول امام هذا المخبر النفسي

ليدلي باعترافاته التي هو اليها منكر وسيبقى الى نهاية الازل . فاعترافاته كانت تؤخذ تحت ضرب السياط . وكما حدث لابي نواس حدث لبشار وغيرهما أرجوا لاتكون مجحفين بحق احد من النقاد نقول البعض وقد يكون هذا البعض نذرا يسيرا لكن احببنا التنبيه الى هذه الظاهرة التي يخشى ان تغزو نقدنا العربي ولانظن ذلك لان نقادنا على درجة عالية من الوعي والدراية بحقائق الامور .

● أبو نواس ذلك الرجل الذي مازالت تتقاذفه الايدي وتارة الارجل في جميع الاتجاهات الى غير مستقر له ولا أحد من اللاعبين قد ادخله في شباك الحقيقة والموضوعية على رأينا غير دراسة اخيرة موفقه من قبل الناقدة السورية الدكتورة احلام الزعيم التي اظنها قد أشارت على حقيقة ابي نواس اشارة علمية مقنعه وسنعود الى دراستها في مكان لاحق من هذه العاجلة السريعة .

ماأكثر المقولات التي تعرضت لابي نواس منذ القديم وحتى يومنا الحاضر من كتب التراجم والتاريخ القديمة التي تضاربت فيها الاراء والوقائع وتلاقت الروايات في هاتيك الكتب ايضا حتى وقتنا هذا اذ لقي ابو نواس من الدراسة والنقد والتحليل مالم تلقه شخصية ادبية قبل . لكن وجدنا هذه الدراسات منها المجحف الجاحد لابي نواس ومنها من اتخذ موقفا معتدلا وبعضها الاخر اوقل معظمها الا وهي الدراسات المعاصرة من قبل نقادنا الحاليين التي رأينا بعضهم يحوم حول الحقيقة ثم مايكاد يبتعد ثم يكر ثانية ليقبض على الفكرة فتعوزه قلة المصادر او الجرأة على قول الرأي في حقيقة هذا الرجل تلك الجرأة التي تخالف جميع السابقين في رأيهم وتقويمهم لهذا المسكين فمن عميد الادب العربي الدكتور طه حسين الى ادونيس الى حسين مروة فمحسن الامين وغيرهم كثير .

لقد وقف ابو نواس في قفص الاتهام مرات كثيرة وكانت خلاصة الاحكام متباينة منها المتعارض والمتضارب ومنها المتوافق والمتآلف ومنها ماكان في موقع الوسط يجمع بين الموقفين .

لقد كانت خلاصة هذه الاحكام على النحو التالي:
الحسن بن هاني ذلك الماجن والمتهتك الفاجر الذي ملأ الدنيا دنسا وخرج على الدين واتبع الزندقة وكان من المارقين . هذا رأى بعض الاقدمين .

وهناك رأى اخر قد يكون خلاصة اراء . طه حسين ـ حسين مروة ـ ادونيس وبعضهم هذا الرأى الذي كان اخف حدة وعنفا من آراء السابقين الاوهو ان ابانواس صاحب فلسفة خاصة في الشعر وفي الحياة يعرضها من خلال خروجه على الاعراف والتقاليد السائدة من خلال متنفسه الوحيد وهو الخمرة المقدسة لديه .

كما ان هناك رايا ثالثا قد يكون قطباه الرئيسيان الدكتور محمد النويهي وعباس محمود العقاد اذ نرى النواسي في العيادة النفسية متهالك القوى لايقوى على الوقوف بذاته يعيش تحت وطأة عقده النفسية وامراضه المتعددة التي لا يبرح منضويا تحت لوائها متجرعا غصصها المحمومة التي لايستطيع منها فكاكا

وراى اخر قد يكون مغايرا لهذه الاراء وتتزعمه الدكتورة احلام الزعيم ومحسن الامين ودعارف تامر وقلة اخرون . ترى هذه المجموعة في ابي نواس عابدا زاهدا من كبار الصوفيين متشيعا إماتشيع . وما عيشه ومجونه الاتقية وتسترا يريد ان يعرض بالعصر وسفالاته من خلال سخرية مبطنة. هذه تقريبا مجموعة الاراء فأيها ـ لعمرى ـ الصحيح . قد يكون في كل صحة بمعنى نسبي .

لابد لنا بعد الذي قدمناه من الوقوف ولو قليلا مع هذه الاراء لنخرج بالرأى الذي نراه مناسبا ونسأل الله ان يعصمنا من الخطأ والزلل وسوء التأويل .

الاقدمون وابو نواس

لقي ابو نواس من حملات التشكيك والتشهير الشيء الكثير ولفقت حوله الاخبار وألصقت به التهم العديدة من قبل الكثيرين من ابناء عصره ومن التالين لذلك العصر لاسباب متعددة وكثيرة منها الدينية والدنيوية والسياسية وبدوافع اخرى ستحاول تبيانها فيما يلي : لقد قسمت الدكتورة احلام الزعيم هذه الاتجاهات الى :

الاتجاه الاول :

تزعمه لفيف من الشعراء المعادين

له ولآل البيت والمؤيدين للسلطة الحاكمة انذاك . من هؤلاء الشعراء : مروان بن ابي حفصه وسلم الخاسر والرقاشي . لقد حاول هؤلاء الانتقاص من مكانة أبي نواس والنيل منه لاسباب عصبية وسياسية وللمكانة المرموقة التي كان الشاعر يحظى بها لدى الخليفة .

الاتجاه الثاني :

وقاده جماعة من الذين كان وضعهم الطبقي والاجتماعي الى جانب مايتمتعون به من نفوذ سياسي هؤلاء كان لهم منحيان في الحياة منحى رسمي جاد ناظمه العفه والطهارة ومنحى عابث ماجن يمارسونه في خلواتهم وجلساتهم الخاصة هؤلاء كانوا اذا ماجمعتهم مع الغلمان والجوارى والمغنين مجالس الانس والطرب . راحت قريحتهم تجود بالشعر المسف الفاحش نسبوه الى ابي نواس خوفا من سيرورته على لسانهم فينتقص من قدرهم وتهتز صورتهم لدى الناس وكأن ابا نواس قد غدا المشجب الذي تعلق به رزائلهم ورزائل عصره (١) .

الاتجاه الثالث :

وهذا الجانب يتعلق بشخصيته الظريفة الدمثة الحلوة المعشر فكلنا يعرف كم كثرت نوادره وظرفه وحكاياه الجميلة المضحكة لكن كل هذه الاشياء لم تتعد نطاق الادب والظرف والمجون السائد في ذلك العصر على حد تعبيره هو .

يقول ابن منظور : كان العباس بن محمد يتشوق ابا نواس ويميل اليه فلما رآه وسمع منه ورأى ظرفه اقبل عليه وقال : ياابا علي اريد ان اقول لك شيئا فاستحييك واستحييي من نفسي في ترك نصحك وقد بلغني انك مكب على المعاصي مستهتر بالقبائح والمجون فقال النواسي : ايها الامير اما المعاصي فانني اثق فيها بعفو الله عز وجل وهو يقول : قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله / وانما المجون ظرف ولست ابعد فيه عن حد الادب ولا أتجاوز مقداره (٢) .

فنحن نرى في هذه الرواية مايدل على البعد النفسي لمجونه وتعابثه بانه مجرد علاقات لفظية كلامية يتطلبها الادب ولاتتجاوز حدوده ونحن هنا لاننفي عنه بعض المجون والتظرف لكن لم يصل الى حد الفجور والفسوق كما اتهم به من قبل بعضهم انما كان الامر مجموعة من العوامل النفسية والعقائدية والسياسية

الاتجاه الرابع :

وهذا العامل مأخوذ من مذهبه الشعري الخارج على مذاهب الاقدمين والمقوض لمنهجهم الكلاسيكي في رسم القصيدة العربية . قد يكون موقفه هذا قد جر عليه بعض لوم اللائمين الذين لم يرضوا بالمذهب الجديد .

يقول مهاجما المتعصبين للقديم :

عاج الشقي على رسم يسائله
وعجت أسأل عن خمارة البلد

قالوا ذكرت ديار الحي من أسد
لادردرك قل لي : من بنو أسد

ومن تميم ؟ ومن قيس واخوتهم
ليس الاعاريب عند الله من احد

دع ذا عدمتك واشربها معتقة
صفراء تعبق بين الماء والزبد(٣)

كما يقول :

دع الاطلال تسقيها الجنوب
وتبلي عهد جدتها الخطوب

وخل الراكب الوجناء ارضا
تخب بها النجيبة والنجيب

ولا تأخذ عن الاعراب لهوا
ولا عيشا فعيشهم جديب

دع الالبان يشربها رجال
رقيق العيش بينهم غريب

اذا راب الحليب فاقبل عليه
ولا تحرج فما في ذاك حوب

فأطيب منه صافية شمول
يطوف بكاسها ساق اديب(٤)

لاشك في ان دعوة ابي نواس للتجديد قد جعلت الكثير من الاعداء راحوا يتحاملون عليه ويلصقون به التهم العديدة التي لاشأن له فيها .

كما ان هناك اسبابا اخرى زادت من حملة التشهير بأبي نواس الا وهي تلك الخصومات التي دارت بين الاخوين الامين والمأمون اذ ان النواسي كان من المقربين لدى الامين وعندما خلع المأمون اخاه الأمين قيل :انه اوصى لبعض الناس ان يكتبوا كتابا في عيوب الامين ومن تلك العيوب انه كان قد استحلى رجلا فاسقا فاجرا كافرا يسمى الحسن بن هاني .

واضح لك عزيزي القارىء في ظل صراعات سياسية كهذه كم يمكن ان يكون قد لفق من الاخبار حول هذا الشاعر وذلك لابراز مساوىء السلف واظهار محاسن الخلف .

ـ اما الفئة الثانية التي تعرضت لابي نواس بالدراسة والتحليل تلك التي اسمينا موقفها معتدلا ان جازلنا ذلك واقطاب هذه المجموعة الدكتور طه حسين في كتابه حديث الاربعاء وفي بعض المقالات المتفرقة والاديب والناقد السوري ادونيس والناقد اللبناني حسين مروة . سنحاول في هذه العاجلة التي نظنها غير واقية لاعطاء هذا الموضوع حقه من الانصاف وعدم الزلل والاجحاف لكن دراستنا هذه مقتطفات نرجو ان نفي ببعض جوانب الموضوع. خلاصة هذا الرأى لدى هذه الجماعة ان لابي نواس فلسفة خاصة في الشعر وفي الحياة يعرض لنا هذه النظرة الفلسفية من خلال شعره وخمرته . لنر بعض ماقاله عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في هذا الرجل
ولكن ابا نواس كان يحب الخمرة حبا اشبه بالدين كان يعبدها ويقدسها تقديسا يقول ابو نواس :

اثن على الخمر بالائها
وسمها احسن اسمائها

لا تجعل الماء لها قاهرا
ولا تسلطها على مائها

كرخية قد عتقت حقبة
حتى نص أكثر اجزائها

دارت فأحيت غير مذمومة
نفوس حراها وانضائها

والخمر قد يشربها معشر
ليسوا اذا عدوا بأكفائها

ثم يدعو طه حسين القارىء للنظر والتمعن في البيت الاول في هذه القصيدة

اثن على الخمر بالائها
وسمها احسن اسمائها بقوله :

اليس الشطر الاول منه تسبيحا للخمر ؟ اليس الشطر الثاني منه تقديسا للخمر ؟

اليس يذكرك القرآن ؟ اليس يذكرك قول الله تعالى « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » (٥و٦) .

ونحن اذ نضيف رأيا على رأى الدكتور طه حسين لماذا هذا التقديس ولماذا هذه العبادة للخمرة التي نراها واضحه في ابياته اليس لان للخمرة ابعادا وافاقا نفسية وعقائدية مذهبية تعتلج بداخله ولايستطيع البوح بها خوفا من البطش والقتل ؟؟ نظن ذلك .

لقد كانت الخمرة لديه وسيلة الكشف عن شيء مفقود يبحث عنه لقد كانت وسيلة من وسائل النزوع الى المطلق والتواصل معه لقد كانت خمرته متنفسا لاظهار مافي عالمه وواقعه الاجتماعي من متناقضات وغبن ومرض يقول ادونيس ان كانت هذه ماهية الخمرة فان لوجودها الفعل الذي يليق بهذه الماهية فهي تمنح الحياة وتغير قيمتها وتوالف بين الاشياء وتبطل منطق الزمن العادي وتهدم سجن الحياة العادية وتضيء وتهدى انها تشوه التآلف بين الذات والعالم (٧و٨)

كما يؤكد ادونيس ويبين ملامح الشخصية النواسية الثورية ان صح التعبير يقول : والانسان النواسي هو الانسان العائش مع ذاته المتخذ من العالم كله مجالا لتوكيد ذاته الساخر من القيم العامة النهائية ومن القائلين بها والقيمين عليها انه الانسان الذي لا يواجه الله بدين الجماعة وانما يواجهه بدينه هو ببراءته هو وخطيئته هو .

هذا هو راى هذه الجماعة التي نظن بعضهم وصل الى اعماق النفس النواسية كأدونيس مثلا على ما يظهر لنا من كلامه على هذا الرجل كما اننا سنعود في مكان اخر ـ عزيزي القارىء ـ لنبحث في رأي العقاد والنويهي حول النواسي المريض ـ المعقد ـ.

« ابعــاد الخمرة النواسية »

ان ابعاد الخمرة لدى ابو النواس لهي مغايرة تماما لما هي عليه لدى كل من طرق موضوعها ووصفهــا وتغنى بها من سابقيه ومعاصريه ، اذ كانت لدى سواه تعبير عن نزف مادي ونفسي ، أو عادة اعتادها الشعراء قبله ان يدلوا بدلائهم في هذا الموضوع .

ان تعامله معها مغاير تماما لاغراض وغايات سواه لقد كانت وسيلته الابداعية في اختــراق العوالــم الموضوعية المكانية والخروج من هذا العالم لخلق عالم آخر شعري نفسي يتوافق ونزوعه للتجديد وثورتــه على القيم والعادات التي تناولتها يد البلى ويجــب تغييرها واستبدالها بقيم أخرى اكثر مرونة ومواءمــة لروح العصر ومقتضيات التطور .

لقد كانت خمرته انتقالا الى عالم آخر صنعه لنفسه تقول الدكتورة احلام الزعيم : « ولم تكن الخمرة عند شاعرنا وسيلة لتبديل الهموم فحسب بل كانت كذلك وسيلة لكشف منابع الحسن والجمال في كــل الاشياء ففيها يجمل العالم وتحلو الطبيعة وفيها يقترن جمال الانوثة وحسن السقاة وفيها يتجلى جمال الدنيا وروعة الوجــود » .

(٩) يقــول :

لا تخشعــن لطــارق الحــدثان
وادفع همومك بالشراب القانــي

أو ما ترى ايدي السحائب رقشت
حلل الثرى ببدائــع الريحــان

مــن سوسن غض القطاف وخيزم
وبنفسج وشقائــق النعمــان

فاذا الهموم تعاورتــك فسلهــا
بالراح والريحــان والندمــان

كم هي بديعة تلك الرؤى التي تفتحها الخمرة لشاربها وكم هي جميلة تلك الآفاق في الطبيعة انه يراها مــن خلال نفسه المزوجة المنتشية بنشوة الخمرة .

فالابعاد النفسية للخمرة اكبر بكثير من التصورات التي يتصورها اولئك الذين رموه بالزندقة والتهتك والمروق من الدين وغيرها من الابعاد المرضية التــي حللها كل من الناقدين الكبيرين ، عباس محمــود العقاد ، والدكتور محمد النويهي اللذيــن اعتبــرا أن الخمرة لديه تعويضا عن حرمانه عاطفة الام أو نرجسية طافحــة تتبع من ذينك العقدتين آفات مرضيــة ونفسية متعددة . هذا على الصعيد النفسي .

أما على الصعيد الاجتماعي فللخمرة أبعاد اخرى ومرام مغايره لما اسلفناه .

لقد أراد النواسي من خلال خمرته هذه ان يفضح عيوب عصره وحضارة مجتمعه المزيفة بكشفه النقــاب عن تلك الجماعة التي كانت تتستر بالديــن وتدعــي المحافظة على الاخلاق لكــن خلواتها بهــذه الممارسات الخمرية القيانية الغلمانية تلك التي ظنوا ان احدا لم يطلع عليها فراح ابو نواس بأسلوبه الفني البــارع وسخريته المبطنه ودعابته المبعدة للشك ، راح يصور هذه الخلوات وذلك المجتمع المنحدر الى ادنى مصاف القيم الخلقية لنستمع اليه في قصيدة يمدح الامــين يقــول :

فاسقنــي كأســا علــى عــذل
كرهت مسموعــه اذنــي

مــن كميت اللون صافية
خــير ما سلسلت في بدني

مزجت مــن صــوب غادية
حملتهــا الريح من مزن

تضحــك الدنيــا الــى ملك
قــام بالاحكــام والسنن

يا أميــن الله عش أبــدا
فاذا أفنيتنــا فكــن

كيف تسخوالنفس عنك وقد
قمت بالغالــي مــن الثمــن

تعلق الدكتورة أحلام الزعيم على الأبيات قائلة :

« واذا امعنا النظر في قوله ـ تضحك الدنيا الــى ملك ـ نرى الى أي حد بلغت سخريته المبطنة بالامين وذلك حين ينعته بأنه قام بالاحكام والسنن وهــو المعروف بتحلله من الكثير من الاحكام والسنن (١٠) :

اليس في سخريته هذه بعد سياسي واضح يريد من خلاله ان يفضح أمر الخليفة ويظهره بعريه الكامل امام النـاس .

ونمضي مع الدكتورة الزعيم ، نستجلي هـذه الرموز السياسية في شعر الشاعر يقول مثلا مادحا الامـين :

اضحى الامـام محمـد
للديـن نـورا يقتبس
ورث الخلافة خمسـة
وبخـير سادسهم سدس
تبكـي البـدور لضحكه
والسيف يضحك ان عبس

الي أراني مضطرا لوضع بصمتي بأصابعي العشر تأييدا لرأي الدكتورة الزعيم حيث تقول في هـذه الابيات : (لا يخفى علينا ما يقوله اضحى الامام ... للدين نورا يقتبس وقوله تبكي البدور لضحكه مـن مداعبات لا تخلو من الغمز والاستخفاف المبطن . ان ابا نواس الذي آمن بالحرية وعاش في ظل مجتمـع تكبله العبودية كان يدرك بأن مقاومة ديكتاتورية الخليفة وكمها للافواه بشكل علني هما ضرب من التهور لذلك فقد اتخذ من السخرية المبطنة اسلوبا يواجه به سلطان القمع والارهاب الفكري » (١١) .

لنر بعد ذلك كيف فضح أمير المؤمنين من خـلال تظرفه ودعابته يقول :

لاح لحاني كـي يجيء ببدعة
وتلك لعمري خطـة لا أطيقهـا
لحاني كي لا أشرب الراح انهـا
تورث وزرا فادحا مـن يذوقها
فما زادني اللاحون الا لجاجـة
عليهـا لاني ما حييت رفيقهـا
أأرفضهـا والله لم يرفض اسمها
وهذا أمير المؤمـنين صديقهـا

فهل بعد هذا من ريب في ان ابا نواس قد حمـل خمرته رموزا سياسية مبطنة ماذا نفهم من عبـارة « هذا أمير المؤمنين صديقها » . اليست هذه العبارة فضحا مبينا لامير المؤمنين القيم على الدين وتطبيـق تعاليمه ؟؟

كما ان للخمرة ابعاد فنية عند ابي نواس شرحها الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء ، وادونيس في الثابت والمتحول ، واحلام الزعيم في كتابها « ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد » .

لقد أراد الشاعر ان يتخذ مبدأ يعبر من خلالـه عن اتجاهاته الفنية والفكرية ويحرص على التجديد وتحطيم الاسس القديمة للقصيدة العربية حتى تغدو هذه القصيدة صورة للواقع الاجتماعي والنفسـي المعاش ، لقد دعا الى الصدق في التجربة والصدق في القول ، لقد هاجم بعنف وضراوة طرائق الاقدمين في التعبير وافتتاحيات القصائد يقول :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هنـد
واشرب على الورد من صهباء كالورد
تسقيك من يدها خمرا ومن فمها
خمرا فما لك من سكرين من بـد

لقد حاول أن يطرح قيما اجتماعية جديدة وان يخلق اعرافا هي من وحي الحياة الحاضرة فثورتـه على القوالب والاعراف القديمة كانت تصل به احيانا الى حد التمرد والخروج الكبير حتى على أهم القيم الاخلاقية ، ليس الا ليثبت مبدأه في عرض مذهبـه الشعري الذي تفانى من أجله .

لنطالع صفحة من كتاب ، احلام الزعيم لنستخلص ما تقوله في هذا الامر لقد عرضت القصيدة التاليـة التي تقـول :

ومليحة في العـدل ذات نصيحة
ترجو انابة ذي مجـون مارق
بكرت تبصر في الرشاد وشيمتي
غـير الرشاد ومذهبي وخلائقي
لما ألحت في العتاب زجرتهـا
فتأخرت عنـي بقلب خافـق
كم تـاه قلبي فاعلمـي وزجرته
فرأى اتباع الرشد غير موافـق
ومدامة مثل الخلـوق عتيقـة
حجبت زمانا في كنائس دابـق
باكرتهـا مـن كف أغيـد شادن
حسن التنعم فوق سؤل العاشق

تقف الدكتورة الزعيم مع هذه الابيات تقول « فأي مجـون واي مروق هذا الذي ينعت بـه ابو نواس نفسه ؟؟ واي رشاد هذا الذي يصر عـلى

الابتعاد عنه ؟ واي عتاب هذا الذي يصم اذنيه عن سماعه ؟ ولماذا هذا الاصرار منه للظهور بمظهر اللامبالي ؟ وما الذي يحوجه الى الدفاع عن الامعان في الغي والضلال لو لم يكن يتخذ موقف المتحدي الساخر ممن يتصور موقفه من الخمرة غيا وضلالا في الوقت الذي شكل بالنسبة اليه منبعا للتحولات والتجديد » (١٢) .

الابعاد الروحية والدينية :

تلك الروح القلقة والوجدان المعنى والعواطف المستعرة التائقة الى الاتحاد بالمطلق لا شفاء لها ولا أرحب الا تلك الخمرة المقدسة التي يستطيع بواسطتها الوصول الى عوالم غير التي يعيشها الناس العاديون.

كما نعلم كان أبو نواس متشيعا لآل البيت مواليا لهم مبطنا عقيدته الدينية وتشيعه بحجاب « التقية » الذي تنادي به جماعة الشيعة الباطنية .

لكن من يديم النظر باشعاره يستكشف هذه الحقيقة جلية واضحة لنستمع الى هذا البيت يقول :

لي نشوتان وللندمان واحدة
شيء خصصت به من دونهم وحدي

لنتساءل ترى ما هاتان النشوتان ؟ هل هما حقا نشوة السكر ونشوة اللذة بمواقعة امرأة معينة كما اعتقدت الدكتورة احلام الزعيم ؟

أم انهما نشوتان مغايرتان ؟؟

اننا لا نستطيع تقبل هذا التفسير فيما يخص النشوة الثانية ألا وهي النشوة الجائية من مواقعة المرأة بل هي في رأينا نشوة دينية مذهبية ، ابعادها مترامية الاطراف ، لا مادية تلك التي توحد ذاته مع الاله ولو كان غير ذلك على حد تعبير الدكتورة احلام كيف يمكن ان يكون قد خص بهذه النشوة دون الندمان أليس يصح للندمان من النساء ما يصح له ؟ الجواب واضح وصريح كما أنه يضفي على خمرته صفات الاله عز وجل من قدم ونفي الصفات والمثل يقول :

ما زال يجلوها تقادمها
حتى اغتدت روحا بلا جسم

ويقول :

ذخرت لآدم قبل خلقه
فتقدمته بخطوة القبل

ترى كيف نفسر هذا البيتان على مذهب الاكثرين اولئك الذين اعتبروه متهتكا ماجنا وعلاقته بالخمرة مجون وفجور ومروق ؟

كيف نبرىء ذمتنا أمام الكثير من هذه الابيات في قصائده ؟

الا يرمز بقدم الخمرة هذه التي سبقت آدم الى قدم الذات الالهية ؟

ثم ذلك البيت الذي أورده طه حسين ذلك الذي يقول :

اثن على الخمرة بآلائها
وسمها أحسن اسمائها

يقول الدكتور طه حسين معقبا على هذا البيت بقوله أ

« أليس الشطر الاول تسبيحا للخمرة ؟ أليس يذكرك القرآن الشطر الثاني من البيت ؟ أليس يذكرك بقول الله تعالى : ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » (١٣) أليس هذا تعطشا من أبي نواس للتواصل مع الذات العليا ؟

ويقول ايضا :

ومدامة سجد الملوك لذكرها
جلت محاسنها عن الوصف

أي قوة خفية تحملها هذه الخمرة حتى تجعل الملوك يسجدون لها ؟ اكبر ظننا ان قوتها الهية . وغير ذلك من الابيات كثير متعدد متناثر في ثنايا قصائد ذلك الرجل الذي حار النقاد وما زالوا يحارون في تفسير الكثير من جوانب شخصيته .

الشيخ بدر ــ محمد علي اسماعيل

اجازة في الآداب ــ قسم اللغة العربية

---

١ ــ ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : د . احلام الزعيم .
٢ ــ مختار الاغاني : ابن منظور
٣ ــ الديوان
٤ ــ الديوان
٥ ــ حديث الاربعاء د . طه حسين
٦ ــ حديث الاربعاء د . طه حسين
٧ ــ ادونيس : الثابت والمتحول
٨ ــ ادونيس : مقدمة للشعر العربي
٩ ــ احلام الزعيم : ابو النواس بين العبث والاغتراب والتمرد .
١٠ ــ احلام الزعيم : ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد .
١١ ــ احلام الزعيم : ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد .
١٢ ــ احلام الزعيم : ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد .
١٣ ــ حديث الاربعاء : طه حسين

قراءة في نتاج القاصة الجزائرية
خيرة بغدود

بقلم : أحمد دوغان

شغلني الادب الجزائري المعاصر حينا من الدهر، وما زلت مشغولا به ، وذلك لايماني بأن ما أقوله هو جزء من رسالة الاديب من اجل عملية التواصل الادبي بين ابناء الامة العربية .

ومن الاصوات الادبية الشابة طلعت (خيرة بغدود) بنتاجها الادبي ، وككل الادباء الطموحين تبحث عن هوية ادبية متميزة ، فكتبت الرواية ، والمقالة ، والخاطرة ، وعانت القصة القصيرة ، وقصص الاطفال .. لم تكن مغامرتها مع الصحافة شأن الادباء الشباب ، وانما تضع الحذر بادىء ذي بدء ، ولـذا فانها تبدأ بالرقابة الذاتية على ما تكتب ثم تضع هذا النتاج المدقق من قيلها في درج مكتبتها ما بين التفاؤل مرة ، والحذر مرة اخرى .

وان كانت ـ حسب رأيي ـ المغامرة صعبة ، لكن لا بد منها ، لان الطريق ليست معبدة بالياسمين وانما بالاشواك ، وبالارادة يصل الاديب الى ما يصبو اليه اذا كان موهوبا ، ويجب الا يفاجأ بالنقد حينا ، وبالنهش حينا آخر .. فتلك هي سنة الصحافة بل قل سنة القائمين على عملية الكتابة الصحفية السريعة .

بعد هذه المقدمة القصيرة احب ان أقف قليلا عند بعض قصص (خيرة بغدود) لان هذا الصوت كما قلت ظل بعيدا عن الاضواء .. لسبب او لآخر، وفي الحقيقة يجب ان نقرأ ما تكتب لنطلع على مدى ما تعانيه في كتابتها ، وخاصة في القصة القصيرة .

فالقصة عند (خيرة) ليست تسلية ، ولا قطعا للوقت ، وانما هذا الاحساس بالكتابة نابع من نظرتها الى الواقع بحلوه ومره ، ومعالجة ما يمكن الوصول اليه ، وهنا تكمن النظرة الواقعية في الادب، وكثيرا ما تربط بين احساسها الذاتي وبين واقعها الكبير الى حد نشعر فيه انه لا انفصام بين الواقع الحقيقي والواقع الفني .

ففي قصة (جريمة حب) تجد الشخوص تأتي بأسمائها وافعالها وكأنها تدلنا على الزمان والمكان . وهي وان كانت مجموعة من العواطف الذاتية او من خلال التصور .. فانها كانت تؤدي الى سرد انفعالات عاطفية ، ولا حرج في ذلك فيقدم لنا الحدث طالبة بكلية الحقوق اعجبت بمدرس لها ، وذلك لتفانيه في العمل ومعاملته الحسنة . ولما كانت متقنة للغة العربية أقدمت على اعطاء دروس لها . ودعاها ذات يوم لزيارته في منزله . فوافقت ، ولم تمانع .. وفي المنزل اخذ المدرس يقرأ لها اشعارا بالفرنسية ، وشيئا فشيئا اخذ يقترب منها .. قبلها بجنون ولم ينقذ الموقف الا طرقات الباب ، ودخول فتاة ، مما

ساعد (شفيقة) على الهرب الذي لم يمهلها ، اذ تلقفتها سيارة اردتها صريعة لكنها لم تنس وهي تودع الحياة ان تتلمس مكان قبلة حارة .!

وهنا يطرح سؤال علينا .. هل حققت غايتها من كون هذه القصة جاءت ممثلة للعنوان (جريمة حب) ؟. في تقديري انه لا يوجد حب ، بقدر مايوجد الوجه الثاني الا وهو الخداع .

هذا مجمل الحدث في هذه القصة التي كان بامكان (بغدود) ألا توجد الهروب المصطنع ، او أن تجعل شخصيتها صريعة بل تنهي الحدث .. وهي قادرة على تركيب الحدث بشكل آخر لتصل الى ما يسمى بجريمة حب .

وفي قصة (كتف وكيف التسلق) تلمست بيدها الواقع الاجتماعي اذ عرفت القاصة طريق الحدث بوعي .. فقد أوقفت شخصية القصة في طابور امام قسم الاسعافات ولكن قبل أن تصل الى هذا الطابور هنالك دحرجوني من حيث اتيت لمركزحيي،بوابه أحالني للكاتب ، والكاتب يكتب الطبيب) والطبيب لم يكن موجودا ، وتعقدت الامور ، ومن أجل موافقة الطبيب عادت الى المنزل لتأتي في اليوم التالي وبعد - شفاعة من قريش - حملت دواءها وذهبت الى الطابور (تدافعت الاجساد بالطابور اعتلى التذمر . وانفجرت أمرأة - صغيري يموت دعوني افوت)واخذت بغدود في رسم الشخصية النامية لتعري مشكلة من مشكلات العصر .. وتطل ممرضة (علينا طل مريال .. فبدأ الصك أنا الاول .. وأنت الثاني .. صاح آخر . رد شيخ مشيرا لامرأة بشهادة الجميع هي الاولى ، وانا الثاني .. والتفت الينا ، أليس كذلك) لقد تعبت ، تورمت رجلاها و (الحقنة اللعينة تحتل جيبها) وتصبر على نفسها ، ولما سمعت احد المرضين يقول (ثلثي طوابيرنا مرضى وهم .. قاطعته افهمني هي حقنة) .

طلب الوصفة ، وبدأت المساومة هل هي وريدية ام عضلية ولكنها في العضل اسهل .. اخذتها من يده وهمت بالانصراف وعند الحقن اخطأت الحقنة الوريد .. تأوهت ، وكأنها واحدة (من حقول التجارب المسحوقة) .

ان (بغدود) شرحت واقعا ملموسا ، نظرا لان ما جاء في القصة انما هو تصوير حي ، فالتجمع يوميا امام ابواب المشافي والمستوصفات ،بل قل امام المؤسسات ، والمخابز والمحلات ، ثم موقف المرضين والاطباء .. هو ذاته موقف عمال المؤسسات والمخابز والمحلات .! هذا التشخيص سهلا ولذلك حققت (خيرة بغدود) ما ترمي اليه الا وهو النقد الذاتي لمجتمعنا الذي يمثل (الأنا) الكبيرة ، او الشريحة العامة من (أنا - أنت - نحن) ليتحول السلب الى ايجاب .

وتأتي قصة (خبزة الصدر) - والمقصود هنا ما يوزع على القبر بعد دفن الميت - لتجسد لنا استغلال الانسان ، وليس كل انسان ، وكيف ان هناك من ينسى بمجرد ان أصبح تحت التراب وتنقلنا القاصة الى عالم القبور حيث (أشجار الصفصاف سامقة مصطفة ككتيبة حرس) ثم الحفر والزخارف على كل شاهدة .. وهناك حفر تنتظر القادمين الى العالم الآخر حيث لا استغاثة ، ولا تأوه .. وتصف لنا بعد ذلك كيف جيء بميت (هوى كتلة لحم مشلولة ، ولا التفاته .. أكله النسيان .. الجحيم .. الجحيم للوسط ، وللمجتمع وللقزامة ، وبدأن التوافد والخبزة تثقل الصدر) .

حشد كامل لحفرة ، لكومة تراب .. (طرحت الخبزة بصدر الحفرة .. ولجلجلة الفقيه .. وتململت السمينة متأففة) .

وبدأت ثرثرة النساء ، ونحيب بعضهن ، والهمس خلسة ، وحملقت العيون متوسعة (بحجم توسع خبزة الصدر التي على الحفرة الآن ويا لها من خبزة أسالت لعابهن) . طلب منهن التوقف عن المضغ فكان الرفض (هي صلة رحم .. صدقة لنرزق صبرا) .. وما كان من السمينة التي جاء ذكرها الا ان قالت أ (بكينا البارحة وانتهينا) وقالت احداهن : (انتقي لك أكبر قطعة) فأجابت بالنفي (لا .. لا أبعدن .. أخافكن .. ستأكلن الخبز في يوم ما على صدري) وتنتهي القصة التي حاولت فيها (خيرة بغدود) أن تدمج بين الواقع والخيال مستخدمة في ذلك مايحدث فعلا بعد الوفاة . لقد طرحت قضية ما هل هي صحيحة ؟. انها عادة متبعة ، بل انها في بعض المناطق سنة حسنة ، وذلك للترحم على الميت ، فهل أخذت (خيرة) هذا الجانب الانساني ، ام انها طرحت

الجانب السلبي لهذه العادة ؟. أم أنها اوحت الى ان هذا المبلغ يذهب هدرا دون فائدة ، وبامكان أهل المتوفى أن يضعوا المبلغ في مشروع تعاوني ، او يصرف على المحتاجين ، وذلك خير وافضل .. واذا لم يكن قصد القاصة ذلك فلماذا كانت هذه الصفحات ؟!. وفي اعتقادي انها التفاتة حسنة من القاصة إلى ما يصدر من عادات تقليدية ، منها ما يمت الى تراثنا حضاريا ، ونعتز به ، ومنها لا يقدم خيرا ، ويجب اعادة النظر في كثير من الموروثات وتنقية الشوائب .

على كل يبقى الموضوع جديدا ، أو أن الحدث في هذه القصة يمثل نظرة جديدة يمكن ان يترك مجالا للمناقشة ، وهذا هو هدف القصة .

ونقف عند قصة اخرى انها (الزرواطة) ، والزرواطة هنا أشبه بعكاز تستعمل كسلاح للحراسة والدفاع عن النفس ـ هذه القصة تميل في تركيبها الى الرواية ، وذلك لان الحدث فيها اقرب الى السرد الروائي ، ولكن هذا لا يمنع من القول ان هذا الحدث كان متماسكا ، يأخذ من اهتمام القارىء ويظل يشده حتى الجملة الاخيرة ، وذلك من مميزات القصة القصيرة ، ويبدأ الحدث باقبال (نبعودة) على المدينة وجلوسه على كرسي خارج المقهى كعادته ، ليسهل عليه الصيد قائلا :

(والله لا ابرح مكاني هذا حتى اتمكن من صيدي الجوع ، موريس ، الكلاب ، وأبناء الكلاب) .
انها الظهيرة ، لم يظهر احد فالصيف والحر .. نقر بالزرواطة على الطاولة (قهوة ثقيلة) .

وتبدأ القاصة باعطاء الوجه الاول لـ (نبعودة) شوقه لرؤية النساء ، الاولى راقبها ، بدت له عجوزا ، والثانية ، انها ممشوقة القد .. ذهب وراءها اسرع الخطا قال (كلمة واحدة يا ملحة).. لكنه فوجىء بصوت ناعم :

(ـ اخطأت يا هذا انك لا تجيد الاصابة ألا تفرق بين خبز الدار ، وخبز السوق) .
تراجع متخاذلا ، وفي المقطع الثالث يزداد الحدث تأزما بدأ الحديث مع جماعة من وشرته عن الحصاد ومحصول السنة وأمراض الكروم و (الخراف التي رآها وباعها اليوم خفية عن موريس) وبقية الحديث عن الفقر والحرمان والصقيع ، بينما الخيرات تذهب لاوربا (ونبقى نحن نكابد الجوع .. الشتاء بكامله وأطفالنا يموتون جوعا .. ولا من يرحمهم برغيف شعير) .

وتذكر (نبعودة) أيام الصغر فقال (ما أتعس صبانا) وشهد الجميع بأن ضربة واحدة من زرواطة نبعودة تترك الخصم ممددا .

وفجأة تطل ملاءة بيضاء .. اقتربت اكثر .. قال (نبعودة) انها تقصدني .. سار مسرعا ، حتى لا تضيع منه (أما الزرواطة فبقيت قرب الكرسي) .
وفي المقطع الرابع .. يعود (نبعودة) بعد ان اختفى كل شيء انه الغروب ، ولا مفر من النوم في الحمام بعد ان ذهبت اكثر دراهمه ، اصوات خارج الحمام .. جماعة من الشرطة ، تأمر الجميع .. لماذا ؟ تمتم ويداه على رأسه صاحوا به :

ـ قف وارم السلاح الذي بحوزتك .

أجاب بالنفي .. (كان ساعتها مشدوها رأى الزرواطة تطير في الفضاء ، هي .. عرفها من طوقها النحاسي ، وقعت داخل السياج ركله الشرطي : هيا انصرف يا بغل لا تملك سلاحا) .

وفي المقطع الخامس يعلم (نبعودة) بأن الثورة قد اندلعت وان البارحة طعن ضابط بخنجر من طرف فدائي .. ولهذا يبحثون جن العصي والخناجر والزرواطات .. (راوده جموح غريب في اعادة الزرواطة .. يقولون بداية الثورة فكيف لي بمواجهة الكلاب دونها ، لا ارحل الا وهي بحوذتي) .

عاد للحديقة .. شاهد زرواطته ممددة.. غافل المارة قفز داخل السياج .. انتشلها عاود القفز ، انطلق صفير .. صفير شرطي مار بدراجته أمره بالوقوف .. تجمد نبعودة ، ودون سابق شعور لوح بالزرواطة فوقعت كعبرتها على ناظر الشرطي وقع على الارض .. انحنى نبعودة وانتشل المسدس ، هتف المارة :

(ـ لا تتفرقوا .. انها الثورة احموه .. افسحوا له الطريق .. فدائي .. فدائي) .

وفي اليوم التالي تطل صحافة العدو (يمنع على السكان حمل الزرواطات والعصي ، ويعاقب كل من خالف القانون) ؟

أجد نفسي امام هذه النهاية ، وانا أتأمل التاريخ .. ثورات الشعوب ضد مستعمريها .. كيف بدأت الثورة في الجزائر ، تلك الثورة التي لم تقف عند صغير أو كبير ، عند فلاح ، او مثقف فالمارة التي تمثل الشعب بأكمله تهتف :

انها الثورة .. احموه .. افسحوا له الطريق فدائي .. فدائي ذلك هو مضمون القصة ، فالخط التصاعدي في الحدث لم يكن عبثا ، فالزرواطة ذاتها كانت يوما تحرس الكروم ، وهي اليوم تقضي على من يستغل خيرات الكروم .. لقد قالها نبعودة (يقولون بداية الثورة فكيف لي بمواجهة الكلاب دونها لا أرحل الا وهي بحوزتي) .

من خلال هذه القصص التي جئت على ذكرها يتبين لنا أن القاصة (خيرة بغدود) استطاعت أن توظف شخصيات قصصها في واقع قصصها ، فنرى أنها تعرضت الى امور عدة :

١ ــ موقفها من استغلال بعض الناس لمناصبهم كأستاذ الجامعة في (جريمة حب) والممرض والطبيب في (كتف وكيف التسلق) .

٢ ــ تعرضت الى مشكلات اجتماعية ، كما جاء في تجمع المرضى والشجار والصراع وذلك من اجل لفت نظر المسؤولين الى العناية بالصحة ، وفي الحقيقة ، ليس الى قطاع الصحة فقط ، وانما هذه عينة مشابهة لغيرها في مصالح اخرى .. كالنقل والبيع .. واشياء اخرى .

٤ ــ طرحت قضية العادات من خلال قصة (خبزة الصدر) ولعل القاصة استخدمت جرأتها في نبش الموروث والعادات وطرح الزيف ، وبقاء ما هو صالح حضاريا .

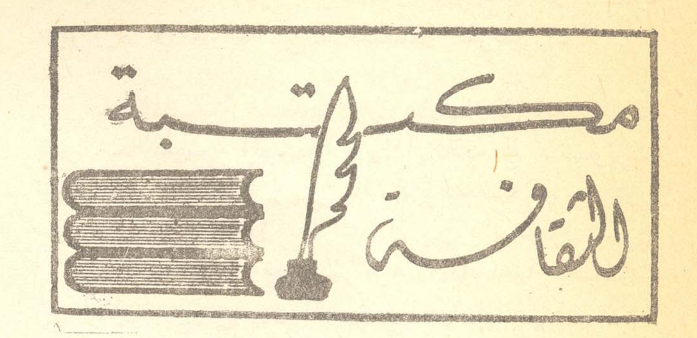
٤ ــ قضية الثورة والنضال ، وما عاناه الشعب الجزائري في صراعه مع الاستعمار الفرنسي .

هذه المضامين المتعددة ، لا شك في انها وظفت كثيرا مما يعيشه المجتمع ، واذا كانت في مضمونها تنتمي الى الواقعية ، فان الشكل لديها كيف يكون مع العلم انه لا يجوز لنا الفصل بين الشكل والمضمون في المعادلة الفنية ، مع ذلك نجد أن القاصة لجأت الى اسلوب يجمع بين السرد والحوار في اغلب قصصها ، وهذا ما يمكنها من اسلوب القصة الحديثة ، أما اللغة التي استعملتها هي من واقع الحدث .. وهذا يعني انها توافق بين اللغة كأسلوب ، وبين الحدث كرؤية واقعية .. واحيانا تستخدم اللغة الشعرية كما رأينا في (خبزة الصدر) اذ انها تقول في المقدمة التي نشعر وكأنها تأخذنا الى منتزه ، وليس الى مقبرة أ (تخطينا الباب الكبير ، الكونساج ، والشارع خال ، يخالجه هدوء .. واشجار الصفصاف سامقة مصطفة) .

وتبقى المفاجأة في قصصها ، أو التأزم الفني ، هذه المفاجأة التي فشلت في (جريمة حب) ونجحت في القصص الاخرى لكونها وظفت التركيب ، او جسدت التنامي الهرمي للوصول الى تقنية القصة ، وامتلاك احساب القارىء بالمفاجأة .. او ما يسمى بالتفجير اثناء التأزم ، او بالعودة الهرمية من الحل الفني للعقدة القصصية .

وفي خاتمة المطاف نود ان نقرأ للقاصة خيرة بغدود اكثر ، متمنين ان تأخذ مكانها في القصة الجزائرية المعاصرة على امل ان نلتقي مع الاصوات وامتلاك احساس القارىء بالمفاجأة .. او ما يسمى زنير ، وليلى بن سعد اليعقوبية والراحلة القاصة زليخة السعودي .

حلب ــ احمد دوغان



في ظـــلال السنديان

ديوان شعر لـ «رضـا رجب»

• نقد وتحليل مصطفى الخش •

السنديان : الواحدة سنديانه وفي علم النبات جنس شجر من فصيلة البلوطيات ينتج ثمرة لا تتفتح ، يحيط بـه قمع . وتسمى هذه الثمرة بلوطه - وبالعامة (دوام) - اوراقه لماعة ومسننة الاطراف ، ومنبته على شواطىء البحر المتوسط الشرقية وهو منتشر على امتداد سلسلة جبال العلويين ، التي كان يطلق عليها فيما مضى جبال السماق .

وللحقيقة فان السنديان اكثر ولهذا كان يجب ان تسمى جبال السنديان .. في الحرب العالمية الاولى كان السكان يتقوتون بثمره ، بعد طحنه . وما تزال اوراقه المغلية بالماء تستعمل شرابا شافيا للمرضى بداء الرمل .

ولقد ساقني الى هذا التعريف ديوان للشاعر رضـا رجب اطلق عليه اسم (في ظلال السنديان) تعبيرا عن وفائه لقريته ، وبخاصة لاشجار السنديان التي عب النسيم العليل تحت ظلالها الكثيفة الوارفة ، سواء مع كتبه المدرسية او مع اترابه من الجنسين .. ومن هذا الجو النقي الرائق استوحى باكـورة اشعاره الناطقة بجمال الريف وصفائه ، فكان وفيا لبيئته التي عاشها وما زال يعيشها بكل جوارحه ، وبكل نبضات قلبه الطهور ، فكان في عاطفته شاعرا صديقا .

المقـــدمة

ازدان الديوان بمقدمة الشاعر المخملي حامد حسن - المخملي بشعره وصوته وحديثه وفي تعامله مع الآخرين - فلم يترك زيادة لمستزيد . ومثلما اهداه الديوان ، كرائد المدرسة الجمالية في الشعر العربي المعاصر ، فقد أكب عليه نقدا وتحليلا ، وغوصـا الى أعمق اعماق تلميذه في هذه المدرسة .

وها هو الاستاذ يكشف الغطاء عن ان (العواطف المنداحـة عواصف والمنساحة آهات) انما هي تعويض عن الكبت والحرمان وانها لواقع ذهني - تصوري - تخيلي ، وليست واقعا حسيـا ماديا . ويبرهن على صحة رأيه ، بعقلية الوسط الاجتماعـي الذي عاشه هذا الشاعر الفتى - الشاب .

ويذهب بعيدا ، فيقرر ان المادية - فيما لو خالطت - لكان حتاما ان ينخفض هذا التوتر العاطفي ويهدأ - ولو قليلا - هذا الجيشان النفسي ، ويتكامن هذا البركان الثائر الهادر المدمر . ويلاحظ ايضا ان هذا الحب واللهف قد استبطن (تعويضـا) حبا « صوفيا » فالمرأة عينان ، شفتان ، ناهدان .. وهكذا يكتفي الشاعر باللذات « الظلى » كما يقول الصوفيون - عن ملـذات الحس والمادية - انتهى

ومع اني اثني على صحة واقعة « الكبت والحرمان » الا ان الاجحاف كله ، في وصف الاستاذ لتلميذه ، فالتوتر العاطفي والجيشان النفسي والبركان الثائر الهادر المدمر ، كلها سمـات للشباب ، في الفقر وفي الغنى .. لا بل فانها اكثر توقدا مـع الفقر ، ذلك ان الغني يلهو عن عاطفته ، بمتاع الدنيا ورفـه العيش اما الفقير فما له الاها .

وكاي من شاب - وفي الشباب خجل وعفة ووداعة - فانـه لا يتطلع الى المرأة الا من زاوية العينين والشفتين والناهدين - وهي بارزة امام ناظريه ويكتفي بها عما دون ذلك ، فتلك مرحلته وليس له ان يتخطاها . ورحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده.. واذا كان الحال كذلك فلا غضاضة اذا ما جـاء الفتى بالحب الصوفي ، ولو لم يكن صوفيا .

المغـالاة

وليس بضائره انه كان مغاليا ، فالمغالاة صفة من صفـات الشباب ايضا اسمعه يقول ، وقد صعر خدا ، وتبختر كالطاووس :

ألهو بواحـــدة وواحـــدة
وأمص خمـر النهـد في نزق

لم أبق ثغـرا لم ارش بـــه
تيهي وغـدر الخافـق القلق

وانه للكذب الصراح ، وقد سبقه الى ذلك امرؤ القيس :

وقبلتهــا تسعا وتسعين قبلة
وواحدة اخرى وكنت على عجل

فالمتعجل لا يعد وانى له ان يعد ؟! والثغور بعدد النساء جميعا، وما رأى منهن الا القليل الاقل وبالمناسبـــة فان « بايرون » - شاعر الانكليز - كان اكثر منه اعتدالا ، اذ عبر عن مـــدى توقه لتقبيل الشفاه فقال : تمنيت لو ان للنساء فما واحدا . اذن لقبلته واسترحت .

مثل آخر عـلى المغالاة

أنفقت هــذا العمــر في قنص
بين الاصيـل يضيـع والشفـق

مــاذا تبقـى اليـوم مـن عمر
بمواقـــد اللذات محترق

وبالتأكيد ، فانه لم ينفق عمره - وهو في اواه - بالقنص وانما سهر الليالي بطلب العلى . اسطع دليل على ذلك حصوله فـي اجازة الآداب باللغة العربية عام ١٩٧٣ - وهو في الثانية والعشرين وقد كان في جميع مراحل دراسته من المتفوقين .

عروبتـــه

رويدك يا رضا ، ودع عنك مواقد اللذات ، فليست للطامحين امثالك ، وانما انت لعروبتك تفديها .. أفلست القائل :

وقومـــك ان دعـا مجـد لجلى
كرام يرخصون الروح صيـــد
يفـدون العروبـة وهـي أم
بكـل مفاتـن الدنيـا تجـود

واين دم الصحراء يخطر في دمائك :

دم الصحـراء يخطر في دمانـا
وامس للغـد المعسول نـد

ومن الاك وغير الازاهير النضرة الفواحة من امثالك ، الغربـة القدس ، لشعبك للانسانية جمعاء . وعندئذ يعيد العرب سيرة حضارتهم الاولى ، وما ادراك ما سيرتها الاولى .

لشعبي وللانسان ابني حضارتي
لينعم في ظلي ويقطف من غرسي

ألا بوركت حضارة العطاء وتبارك مولدك بالنار ، مستقبلا

تبارك مهر خط بالنـار مـولدي
وارخى عنان المجد في جبهة الشمس

والى التعب والصيام والجوع ، فللباطل جولة ثم يضمحل ، ونعود كما كنا : رسل حضارة للعالمين :

صلى لمن تعبوا لمن صاموا وجاعوا
ولنا الزمان وليس للطغيان باع

واخيرا فان ارادة الشعب لا تقهر :

ما ثـــار شعـب حاقـــد
للحـــق الا وانتصـــر

ولا شك ان الشاعر عاش في املاق ، عقدين كاملين ، وحتى يومنا هذا تدل على ذلك ناصية حاله . ولكن الفقر لم يقعد بـه مع القاعدين ، وانما سبيل العاملين فسعى الى العلياء - طلب العلم ، بهمة لا تعرف الكلل ، فكان له ما تمناه .. وكما كــان مرموقا بين اقرانه ، في سائر مراحل دراسته فهو يبصم قدميه في مستهل حياته الكفاحية ليعلن للملأ في ديوانه البكر ، انــه شاعر موهوب ، وانه لا بد ان يشار اليه بالبنان .. والشعـر موهبة السماء ، لا يؤتاها الا من كان رهيف الحس وقيد العاطفة ذلك ان الشاعر يغني خلجات القلوب ، ويهيج اهزوجة الاماني العذاب ، ليشرح منا الصدور وليشدنا اليه بحبل من مسد .. فهو النور ونحن الفراشة ، يجذبنا اليه لا لنحترق وانما نفتح له قلوبنا ليغدو حبيب الجميع .

غزلياتـــه

والحبيب رضا رجب ذاق طعم العلقم في الكبت والحرمان ، فأراد ان يروح عن نفسه بالاحلام الذهبية ، يراها في صبحـــه والمساء ، وفي نومه واليقظة ، حتى خيل اليه انها الحقيقــة وما هي بالحقيقة الا البؤس والتعاسة والشقاء .

واجب بهذه الاحلام الذهبية التي تجعل حقله يأتلـــق

بالحبوب ـ رمز ـ الثورة ـ وبستانه ـ اذا جازت التسمية ـ موئلا للحور العين ، يرشف واياهن كؤوس الحب مترعة ، وبيته ـ يا لبيته المبني بالحجارة والطين ـ يغطي سطحه القرميد الاحمر وما درى ان القرميد الاحمر وقف على بيوت الموسرين ، وما هو منهم في شيء .

يهلل حقل لعرس الصباح
ويأتلق الحب والبيدر

ويهتف بالحب بستاننا
وبيتي وقرميده الاحمر

وبهذه الاحلام الذهبية حبا وعانق وقبل زائرته الحسناء

ظبي كأن الله قد القى رحال الحسن عنده
صب الضحى القا وسلسل من نجوم الافق عقده

ولكنه ضحك لما استيقظ من نومه :

وضحكت لما لم اجد نفسي تضم سوى المخده

وما يدرينا ان غزلياته كلها اضغاث احلام او انها نوع من أكل الجوز الفارغ . على انه لم يعدم حبا ، والا لما تفتحت قريحته الشاعرية على هذه الموائد الدسمة الشهية . واكثر مايستهويه الناهدان والشفتان . ويسبح للوجه المنور لانه صياغة الرب الرحيم :

جلوتك من غي شفاها وناهدا
ووجها الهي التسامي منور

واما العينان فلهما عنده حديث ذو شجون لانهما صياغة الريف الذي احبه حقا وعشقه صدقا . وبغير مغالاة فقد وقف في محرابه متعبدا . وكما ان العيون تقتل ـ عند جرير ـ فانها لدى رضا ـ حب بمثابة الرماح ، والرماح انما خلقت للقتل ايضا ، فالعين كالرمح تفتك بالمرء فترديه قتيلا ، فحذار حذار من العيون والرماح فكيف بغمز العيون ؟!

قد صاغك الريف من سحر ومن غنج
حسناء في ناظريها يسكر الالق

لا تغمزي الاقمار قد ترتمي
لا تغمزي .. صعب لقاء الرماح

ولئن احب فواحدة ، فليس للحب غيرقلب واحد ، الا ان يكون نسيج وحده وتكون له قلوب متعددة .. ولكن القاعدة اجدر بالاتباع . وقد اشار الى ذلك بنفسه فالخالدان : حبه وريفه :

يغني الزمان وما يضم وخالد
حبي ومخضر الازاهر ريفي

وهكذا وسع قلبه ـ على غير العادة ـ حبه وريفه معا ... وقد رضي عن حبه ، لما شاع خبره في العالمين :

ها نحن اخبار بسمع الدنى
في مغرب الشمس وفي المطلع

وانه لحب لايباع ولايشرى :

ملء الزمان هواى لا تتصوري
حبي يباع ويشترى كمتاع

ما أحيلى هذا الرفض : فالاخلاص ، كل الاخلاص في حبه المقيم ابدا .

اني لارفض ان احب للحظة
لدقيقة لو تعرفين وساع

وآيته في هذا الحب :

سمراء يا خير حب
لشقوتي ولعمري

في هذا البيت اعتراف ، لاقبله ولابعده ، فلقد اقر ، للمرة الاولى ، بفقرة وتعسه ، كما جهر بحبه لواحدة سمراء ، لاينساها ولايبغي عنها عوضا ، ولابد ان تكون شريكة عمره وعزاءه في بلواه :

أهواه لا أرجو له بدلا
يغني الزمان ولست انساه

عاشق السنديان

ومثلما ان الريف يطرزجل غزلياته ، فهو بالتأكيد عاشق السنديان وبالتحديد عاشق قريته عناب ، المتربعة على عرش السنديان ، في بقعة من اجمل بقاع جبال العلويين ، حيث الجبال شاهقة كحد السيف وحيث السهول الخصيبة ـ سهوله المشهورة بأنها اخصب اراضي سورية على الاطلاق .. وبالسنديان ينشرح صدره لانه شاهد مولد حبه الطهور :

والسنديان الباسط الاغصان رابية وتله
أهواك تدرج للطيور وانت للشاكي تعله
تخطو فتضحك زهرة لقدومنا وتهل فله

وكانت الزهور واغصان السنديان له بالمرصاد خشعا وتميس مع النسمات كالعاشقين :

من أي درب جئت هل زهرة
لم تنفعل بالخطو لم تخشع
هل ظل غصن لم يمس لهفة
لم يرتجف كالعاشق المولع

مسلسل المظالم

وبحرقة بالغة ، حكى مسلسل المظالم لقريته ـ عناب ـ ولسائر القرى النائمة على حد تعبيره ـ بصوت شجي لكنه صاف وعذب كرقرقة الماء في الساقية

ما كان احلاك لو أن الف يد
سوداء تمتد تجني عطر دنياك

فقرانا كلها مستغلة ، وهذه اليد السوداء يجب ان تبتر ، وهذا الظالم يجب ان يلقى حتفه ، فما يتشهى الشاعر الا ان تخرج قريته من الظلام الى النور فتكتسي ثوب الكبرياء وتشع بالبهجة والسعادة :

متى سأشهد دنيانا مشعشعة
كبرا ويلبس ثوب النور عطفاك
ولا أرى ظالما يحكي والف فم
يلفه الصمت يلقى بالاسى خاك

واكرم به من قائل ، فليس لها الا ان تمسح الغشاوة عن جفنها وتمزق الحجب السود ، فلقد آن ان تقر العين :

ردي ازارك عن عينيك وانتبهي
افما تشهت للثم النور عيناك

وتناشد ابناءها الصيد الجماليل ، وهم كفيلون بترقيتها الى عالم الافلاك

وحلقي فوق اهداب الضحى القا
حنت نجوم واقمار للقياك

الحنين في الغربة

وماجمل هذه اللقيا . وهل رايتم اوفي من رضا رجب لبيئته ؟ ووارحمتاه له في الغربة ، اذ يرمضه الحنين لقريته ، يناجيها بأرق مناجاة ، ويدعوها بأخت النجوم

هواك أعار القلب في الغربة السقما
فرحماك يا أخت النجوم الا رحمى
لقد مضى شوق ملح فهل ترى
نعود لمغنى الحب نشبعه لثما

ويسترسل في المناجاة ، فيصف مفاتنها ، بريشة رسام بارع ، ويخلص الى لثم تربها الخضيل ثم ينثني الى أمه ، يزفها شوقه الدفين ، وهي التي ارضعته الطموح وعلو الهمة :

وقد برح الشوق الدفين بمهجتي
لمن ارضعتني المجد والهمة العظمى

وبعد ان يعدد مناقبها وعطاءها الكبير ـ والامومة عطاء دائم ـ يركع تحت قدميها ساجدا متعبدا ، شأن الابناء البررة ، وواضعا نفسه رهين اشارتها

جعلت فؤادي رهن ما شئت من هوى
وما مخطىء في الحب من يعبد الاما

وملاحظة : اليس لوالده حظ فيه ؟ ام ان الامومة تعني الوالدين ـ والمعنى في قلب الشاعر ـ ولعله نسج على منوال المتنبي الذي ذكر والدته واغفل والده .

في الاسلوب

وفي الختام ، اراني اطلت الاستمتاع بهذا الديوان الشيق الدفاق بحيوية الشباب وملاحة الشباب وغلو الشباب وصراحة الشباب وحب الشباب للشابات والمراهقين للمراهقات . وعذري اني في شيخوختي ، لا بد وان استروح ذكريات شبابي ، بالقياس الى شباب الحاضر . فان لم استبك فلا اقل من أن ابكي .

في اسلوبه الكثير من خصائص المدرسة الجمالية الابداعية ابرزها البساطة ووضوح الرؤيا وحسن التعبير ، وبها الصورة متوجة بالجمال كل الجمال . وقد كشف الشاعر عن فحوى ديوانه :

هذا كتابي ... فيه همس اصابعي
في الناهدين وصرخة القبلات

وما أبعد الفرق بين الهمسة والصرخة ، على ان لكل مقام مقال .. وقد عرف نفسه بنفسه وآية الحكمة « معرفة الانسان نفسه » .

عرفتني الحياة حرا جسورا
عاينت همتي ورفعة بأسي
كيف اخشى الحياة والصدق نهجي
وشعاري الدؤوب حب الناس

ومن كان شعاره الصدق والمحبة ، فلا يخشى في الحق لومة لائم ناهيك عن ان الصدق والمحبة هما جماع الفضائل كلها . روى عن النبي العربي ان شخصا قطع له عهدا بالنهي عن احدى المعاصي العديدة التي يرتكبها فقال : لا تكذب . ولما لم يكذب انقطع عن المعاصي كلها .

ومن صميم القلب اتمنى أن يكبر شعر الشاعر كلما كبر . وعندئذ فلا بد ان يصبح من الشعراء الخالدين . ويا لحماس الشباب فقد جعله ان يستبق اوقاته ، اذ قاس نفسه بما لايقاس فزعم الخلود لشعره وماذا أبقى للمتنبي وابي العلاء ؟

يفنى الوجود ويبقى
في مسمع الكون ذكرى

انها عدوى « العنترية » وما اكثر « العناتر » قولا لا فعلا ..

مصياف ـ مصطفى الخش

أخبار ثقافية

مجلة شؤون عربية والعدد الجديد ـ الخامس

● صدر العدد الجديد من مجلة « شؤون عربية » لشهر تموز ـ يوليو ـ ١٩٨١ م رمضان ١٤٠١ هـ وتضمن اثني عشر بحثا واربع ندوات الى جانب باب ـ مناقشات واليوميات وباب الوثائق وتقريرا عن المرأة العربية في حقول التعليم والعمل والصحة وموضوع ـ مشروع انشاء وكالة عربية للتأليف والترجمة والنشر . ومقدمة العدد التي دارت حول انشاء المجلة ومسيرتها خلال الاربعة اشهر الماضية وعبر اعدادها الخمس التي صدرت حتى الآن ونورد ما جاء في آخر المقدمة هذه التي كتبها الاستاذ أنيس صايغ رئيس التحرير / حصرت : شؤون عربية . اهتماماتها ومعالجاتها بهذه الحقول الخمسة التي ذكرتها في تصدير العدد الاول من المجلة في مارس آذار من هذا العام : ألا وهي

● قضايا العمل العربي المشترك على مختلف صعده وصوره ومستوياته وهموم المجتمع العربي الواحد ومشاكله وقضاياه وطموحاته ، وابراز التراث العربي والعطاء العربي الحضاري للعالم ، وتعريف العربي بالعربي ، انسانا وامة ووطنا وتطلعات :

واخيرا تعريف المواطن العربي بالجامعة العربية بأمانتها العامة ومنظماتها المتخصصة حاضرا وآمالا واطلاعه على اوضاعها وتركيبها ومخططاتها ومساعيها لخدمة الامة . وقد كتب في هذا العدد / الخامس / ثلاثة وعشرون كاتبا ـ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر / د . شكري نجار . د . حسن حنفي . أميرة الزين ومقابلتها مع جاك بيرك . د . حامد عمار . واحمد الرباع وعلي فهمي و د . ناهد رمزي وغيرهم .. ومن مواضيع هذا العدد الجديرة باهتمام القاريء / التراث والتغير الاجتماعي ـ النفط والتغيرات الثقافية والاجتماعية ـ الثقافة العربية كمحور للمقاومة ضد التبعية .. النفط واثره على تغيير دور المرأة .. الى جانب ما جاء في باب / الكتب / الشرق العربي والغرب للكاتب ناجي علوش وفي باب الندوات / الحوار حول الفصحى والفصحى المبسطة .

هذا وقد قالت عنها جريدة (الشعب) الموريتانية في عددها الصادر ٢٣ رمضان ١٤٠١ هـ انها مجلة لتكسير الحواجز واذابة الفوارق في الآراء والمواقف العربية .

● ●

● المرأة المتعبة لفرانسوا ساغان ●

● بعد صمت طويل ، اعتقد معه المهتمون بأدب فرانسوا ساغان الاديبة الفرنسية بانها قد امتنعت عن الكتابة . فاجأت القراء بكتابها الجديد «المرأة المتعبة» و « المرأة المتعبة » رواية بجانب مجموعة من القصص في ٥٠٠ صفحة ، تتناول فيها تجربتها كامرأة واديبة وانسان .

● كتب متفرقة ●

● دراسات في الادب الجاهلي هو عنوان الكتاب الذي صدر مؤخرا للدكتور محمد التونجي وكيل كلية الآداب للشؤون العلمية بجامعة حلب ، ويعتبر هذا الكتاب الثالث من نوعه في ميدان الدراسات الادبية للشعر الجاهلي التي صدرت للمؤلف .

* * *

● ابطال مهجولون ، مجموعة قصصية صدرت لمحمد نديم بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب وسبق له (الطفل والمغامرة) و (عام جديد) .

* * *

● صدرت مؤخرا للاديبة عالية ممدوح رواية للاطفال بعنوان الليلى والذئب تقع في ٢٥٧ صفحة ، من القطع المتوسط وتتناول احداث لبنان بشكل رمزي وبسيط .

* * *

● عن (دار العلم) بدير الزور صدرت مجموعة شعرية للدكتور عبد الحميد الشيخ عطية تحمل عنوان (رؤى وبترول) . صمم الغلاف بشار ركاض .



الممكن والمستحيل

مجموعة أشعار ممكنة ـ لرضا رجب

● حلمنا عصورا :

بشكل رغيف كوجه القمر

بدالية أو حجر

حلمنا بفاتحة البشر

ملأنا الجفون بخبز المدى

طحنا الرياح وخضر الشجر

نصبنا الخيام على تلة من الفقر

مربوطة بالمطر

● صور ممتعة ، وعميقة الابعاد .. بسيطة ولكنها تحرض على التأمل والاستغراق . من الناحية النسيجية لشعر المجموعة تقف الاشعار فيها في صف البحور الموروثة .. وتلتزم بالبلاغيات أما في صف الحداثة فانها تتراوح بين الممكن والمستحيل ـ احيانا .. والشعر ككل مقبول ولو كان على اية وتيرة .. انما المدهش ينبثق من بين تلافيف السطور الشعرية والكلمات والصورة المفاجئة .. بالنسبة للقارىء العربي في هذه المرحلة .. فثمة اكثر من نوعية .. ولكي نرضي ذوقه علينا بالانتساب .. في مجموعة (رضا رجب) هذه الممكنة .. تتجدد عند صاحبها فكرة الانطلاق والذهاب خلف سحابات قد تمطر وقد لا تمطر .. المهم هو الشاعر الذي يمكن طرح اكثر من سؤال عليه .. ولكن صديقنا (رضا رجب) يظل في الحقل ذلك الصوت الاكيد الذي يجعلنا نلتفت بدهشة الى مصادر انبعاثه عاليا في الدروب اللاحبة .

وبالتالي / الشكل في المجموعة هو الشكل .. وانما فرده الشاعر على الصفحات فتحجمت بالطول والكثرة ولكن لا بأس أن يفرط « البيت » الشعري على السطور ما دامت موسيقاه ترتبط بالبحر المقرر الموروث .

بصورة عامة المجموعة تحتاج الى اكثر من هذا الكلام ليعطي القارىء تحليلا اشمل يمت الى الجنس النقدي اكثر والا ما هذا الذي كتبناه هنا الا تحية محبة وتقدير للشاعر الصديق رضا رجب .. الذي الشعر عنده هم من همومنا اليومية .. كالخبز والماء .

(ا ٠ ع)

المتنبي والقرامطة

عن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض بالمملكة العربية السعودية ، صدر كتاب رقم ٣٤ ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة بعنوان « المتنبي والقرامطة » تأليف الدكتور محمد محمد حسين استاذ الادب العربي في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . الكتاب في ١١٨ صفحة من الحجم الصغير .

* * *

● كتاب تراثي عربي ●

* اكتشف فريق من الباحثين المشتغلين باحياء التراث العربي الاسلامي في اكاديمية العلوم السوفياتية بكازان نسخة خطية نادرة من كتاب عربي في علم الفن بعنوان ـ نزهة الحدائق ـ تتضمن هذه النسخة معلومات دقيقة في حساب الفلك .

* * *

● الشاعر حسان عطوان ● وجائزة الشعر الاولى في الشارقة

● الشاعر المذيع ـ حسان عطوان فاز بجائزة الشعر الاولى التي أجرتها جريدة « الخليج » في الشارقة باشراف الشاعر المعروف محمد الماغوط وقد نال الشاعر حسان مكافأة مالية قدرها (٢٠٠٠) درهما على هذه الجائزة . تهانينا للصديق الشاعر حسان عطوان . وألف مبروك .

* * *

● الشعر والشعراء في سورية ●

* أجرى المذيع الشاعر (حسان عطوان) حوارا أدبيا في قطر تحدث فيه عن الشعر والشعراء في سورية وقد خصص قسما من حديثه « قصيدة النثر » وروادها في القطر العربي السوري منهم من الاوائل سليمان عواد ـ اسماعيل عامود ـ محمد الماغوط ـ وهؤلاء كانت بداياتهم الشعرية في أواخر الاربعينات